مجلة شهرية

نور المسيح
ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

Issue No: 37 عدد:
September 2010 أيلول

جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

رفع الصليب الكريم المحيي

ذاهبٌ إلى الموت

محتويات العدد

2 ذاهبٌ إلى الموت
3 كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلس الثالث
4 الحسد - باسيليوس الكبير
5 عظمة والدة الإله
6 رفع الصليب للقديس كيرلس الإسكندري
10 تفسير القدّاس الإلهي
12 المجيء الثاني - كونيارس
14 أبحاث لاهوتيّة الآباء في مواجهة الهرطقات
16 صلاة يسوع
18 الطريق إلى الفردوس للقديس باسيليوس الكبير
20 كلمات روحيّة للراهب پايسيسيوس
21 طريق النساك
22 العهد القديم. (٢٠)
23 عجائب القديس يوحنا الروسي

توزع هذه المجلة مجاناً
جمعية نور المسيح : كفركنا - الشارع الرئيسي
(الحي الجنوبي) ص. ب. ٦١٩ تلفاكس ٠٤/٦٥١٧٥٩١
تقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال - الناصرة
حساب رقم: 12-726-111122
e-mail: light_christ@yahoo.com
ترتيب وتحضير : هشام ميخائيل خشيبون
سكرتير جمعية نور المسيح

في هذا البناء الضخم والذي يُدعى الكولسيوم في مدينة روما ، طحنت أنياب الأسود جسد القديس أغناتيوس الأنطاكي زمن إضطهاد تراجان على كنيسة المسيح المقدّسة.

القديس أغناتيوس الأنطاكي

﴿ إنّني ذاهبٌ بملىء رضاي إلى الموت لأجل اللّه راجياً ألاّ تقفوا عائقاً في سبيلي ...

أتوسل لكم ألاّ تكون شفقكتم في غير وقتها المناسب ، دعوا الوحوش **تأكلني** لأنّي عن طريقها سأصل إلى اللّه ..

أنا حنطة اللّه **أُطحَن** تحت إنيابها لأُصبح خبزاً نقيّاً للمسيح. هيّجوا هذا الوحوش الضارية لتكون **ضريحي** ولا تترك شئاً من **جسدي** لئلا أُثقّل على أحد في رقادي الأخير.

حينئذ أُصبح تلميذاً حقيقيّاً ليسوع المسيح عندما لا يرى العالم جسدي.

صلّوا إلى المسيح لأجلي حتى أغدو بفضل الوحوش الضاريّة **ضحيّة** إلهي ﴾.

إنّها حقّاً

صرخة مثيرة آتية عبر الأجيال ، صرخة رجل لا يهاب ولا يخاف من الإستشهاد. صرخة رجل تضرع بها في غمرة عشق إلهي. صرخة هزت كياننا بصدقها. صرخة شهدت بفرط حرارتها وشعلة حماسها .. إنّها صرخة مدويّة صرخها القدّيس الشهيد (إغناتيوس الأنطاكي) ورَنَّ صداها عبر الزمان.

صرخة حُبّ عبّرَت عن محبّته المتأجّجة لحبيبه المسيح. صرخة صرخها منذ حوالي تسعة عشرة قرناً من الزمان ولا تزال حتى الآن تلهب قلوبنا.

فقد استشهد هذا القدّيس أثناء إضطهاد تراجان (١٠٧-١١٧م)، فقد أُرسلَ من أنطاكية إلى روما ، وفي المسرح الكبير عُرِّيَ القدّيس الوقور من ثيابه ، وطُرِحَ مأكلاً للوحوش فمزّقت جسده الطاهر، والتهمته. أنا حنطة اللّه **أُطحَن** تحت أنيابها لأُصبح خبزاً نقيّاً للمسيح .

إنّ الروحانيين لا يهابون الموت، هذا الضيف العزيز بالنسبة لهم ، فهو جسرهم إلى اللّه. وهم منذ بداية حياتهم في الروح ، يحيون في انتظار الموت، وأدبهم النسكيّ ممهور بذكر الموت.

وقد قيل أنّه في اللحظات الأخيرة من حياة **القديس نيقوديموس الآثوسيّ** سأله أحد الموجودين في المنسك: «هل أنتَ في هدوء يا أبت» ؟

فأجاب القدّيس: ﴿**كيفَ لا أكون في هدوء. وقد جعلت المسيح في مركز حياتي ، وكل حياتي وغاية وجودي؟**﴾.

هذه كانت آخر كلمات نطق بها هذا الفم الطاهر، وبعدها غادَرَ الحياة الفانية، إلى العالم العلويّ بعد حياة في الجسد عاشها وهو يغبُّ من فيض النعمة الإلهيّة.

ما أحلى الموت للمستعدين للقاء عريس نفوسهم وما أبهج الموت للمنتظرين ذلك اليوم الذي تُقام فيه أفراح الأبديّة. هؤلاء يكون بالنسبة لهم:

الموت هو مركبة السلام التي توصل إلى شاطىء الأمان.

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث بمناسبة رفع الصليب الكريم المحيي

«لأنّ كلمة الصليب عند الهالكين جهالة، وأمّا عندنا نحنُ المخلّصين فهي قوّة اللّه» (١كو١:١٨).

«هلمّوا يا جميع الأمم نسجد للعود المُبارك الذي تمَّ به العدل السرمديُّ. لأنّ الذي خدَع آدم الجدَّ الأوّل بالعود خُدِعَ بالصليب. والذي تمرَّد فاستَعبَدَ الجبلة الملكيّة سقَطَ مصروعاً سقطةً مريعة. وبدم اللّه غُسلَ سمّ الحيّة. وبالقضاء على الصدّيق ظلماً اضمحلّت اللعنة المقضيُّ عليها بعدل. لأنّ العود وجَبَ أن يُشفى بالعود ؛ وآلآم المحكوم بالعود وجَبَ أن تضمحلَّ بآلام المنزَّه عن الآلام. فالمجد لتدبيرك الرهيب من أجلنا أيها المسيح الإله الذي به خلَّصتَ الجميع. بما أنّك الصالح والمحبُّ البَشر». (ذكصا كانين – المساء الكبرى)

أيها الأخوة الأحباء بالرب الفادي يسوع المسيح

إنّ صَلبَ المسيح هو سرٌّ عظيمٌ وغريبٌ ، لأنّ اللّه مدبّر الكل، بتجسّد كلمته ربنا يسوع المسيح بقوّة الروح القدس ومن مريم العذراء ،طأطأ السموات وانحدر، وتنازل حتى الموت موت الصليب.

وكما يقول الرسول بولس: إنّ كرازة الصليب لأولئك السائرين في طريق الهلاك هي جهالةٌ كبرى ، أما بالنسبة لنا نحنُ السالكين طريق الخلاص ، فالصليب هو قوّة اللّه المخلِّصة.

بكلام آخر **سرّ التدبير الإلهيّ** الذي ابتدأ منذ حضور اللّه في تاريخ البشريّة على جبل سيناء ، حتى اكتمل في أورشليم على جبل الجلجثة ، حيثُ صُلبَ السيّد المسيح كفّارة عن خطايا البشريّة جمعاء ، ثمّ قيامته المجيدة بعد ثلاثة أيّام. هذا السرّ يُفهَم فقط من خلال التواضع والإيمان ، مثلما يقول القديس بولس: «بل اختار اللّه جُهّال العالم ليخزي الحكماء. واختار اللّه ضعفاء العالم ليخزي الأقوياء» (١كو ١:٢٧). هذا ما صنعه اللّه لكي لا يفتخر كل بشريّ أمام اللّه «لكي لا يفتخر كلُّ ذي جَسَد أمامه» (١كو١:٢٩).

أيها الأخوة الأحباء بالمسيح يسوع

كما يقول المرنّم «هلمّوا يا جميع الأمم نسجد للعود المُبارك الذي تمَّ به العدل السرمدي».

ما هو العدل السرمديّ ؟

العدل السرمديّ هو العدل الإلهيّ.

كيف نميّز بين العدل الإلهيّ والعدل البشري ؟

نميّز ما بين العدل الإلهيّ والعدل البشري ، من خلال ربّنا يسوع المسيح الذي علّمنا بالقول وخاصّة بالفعل عندما صُلبَ على العود المحيي. وحسب الكتاب المقدّس ، فإنّ الذي خَدَع آدم الجدّ الأوّل بالعود ، خُدِعَ هو بالصليب . والذي تمرَّد فاستَعبَدَ الجبلة المَلكيّة ، سَقَطَ مصروعاً سقطة مريعة.

يعتبر عود الصليب ، **رمز ، وأداة ووسيلة** للعدل الإلهيّ ، لأنّه من خلال الصلَب. **فالمسيح** كلمة اللّه وابنه الأقنوم الثاني للثالوث القدّوس ، هو الذي غَسَلَ سمَّ الحيّة القاتل بدمه الكريم المحيي.

كذلك بالقضاء على الصدّيق ظُلماً اضمحلّت اللعنة المقضيّ عليها بعدل. إنّ العود المحيي هو الذي شَفى اللعنة **وأبادَ تملّك** الموت على آدم وذريّته. «لأنّ الربّ الإله أوصى آدم قائلاً: من جميع شجر الجنّة تأكل أكلاً. وأما شجرة معرفة الخير والشرّ فلا تأكل منها. لأنّك يوم تأكل منها موتاً تموت» (تك٢:١٦-١٧). لكن الشيطان أغوى الجدين آدم وحواء بأنهما إذا أكلا يصيران مثل اللّه.

إذاً عندما أطاع آدم خديعة الشيطان وسقط بالأكل المحرّم ، وجَبَ عندها أن **يتمّ عدل اللّه** «**يوم تأكل منها موتاً تموت**» ، لذلك دخل الموت إلى حياة آدم ومن خلاله البشريّة جمعاء.

وكما يقول الآباء القديسون: لأنّ العود (الشجرة) وَجَبَ أب **يُشفى** بالعود (الصليب). وآلام المحكوم عليه بالعود (آدم)، وجَبَ عليه أن تضمحلّ بآلام المنزّه عن الآلام.

ما معنى آلام المنزّه عن الآلام ؟

آلام المنزّه عن الآلام هي آلام المسيح الضابط الكل ذي الطبيعتين ، فهو إله تام ، وإنسان تام . فمن جهة النّاسوت تألّم المسيح آلاماً حقيقيّة عوطوعيّة ، أما من جهة اللاهوت فهو منزّه عن الآلام. (فاللاهوت لا يتألّم).

وكما يقول مرنّم الكنيسة : ـ إنّ الصليب حافظ المسكونة كلّها ، الصليب جمال الكنيسة ، الصليب إياد الملوك ، الصليب عضد المؤمنين ، الصليب مجد الملائكة وجرح الشياطين.

أيها الأخوة الأحباء.

نحنُ مدعوين من كنيستنا أن نرتّل مع المرنّم قائلين:

«اليوم يُرفَع الصليب فيتقدّس العالم. لأنّك ببسط يديك عليه أيّها المسيح المجالس الآب والروح القدس اجتذبت العالم كلّه إلى معرفتك. فأهّل المتوكّلين عليك للمجد الإلهي».

هذا هو تماماً المجد الإلهيّ ، هذا هو ملكوت اللّه أيّ العدل السرمديّ الذي نتذوّقه مُسبقاً ـ كما تذوّق تلاميذ المسيح بطرس ويعقوب ويوحنا والأنبياء موسى وإيليا مجد المسيح الإله المعلن عند تجليه على جبل ثابور ـ من خلال أسرار كنيستنا الأرثوذكسيّة المقدّسة الجامعة الرسوليّة.

نطلب شفاعة الصليب الكريم المحيي رمز الغلبة على الأعداء المنظورين وغير المنظورين، لأنّه الركيزة والملجىء والخلاص لجميع السالكين في طريقه ، أن يساعدنا لكي نتمّ شوط الإيمان غير متقسّم ونرضّ رؤوس التنانين لنحظى بالنعيم الأبدي آمين.

كل عام وانتم بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

الحسد

للقديس باسيليوس الكبير

«فلما رأى العملة الإبن قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث تعالوا نقتله ونستولي على ميراثه» (متى٢١:٣٨)

لا تحتوي النفسُ البشرية على خصلة مهلكَة كالحسد، فكما يأكل الصدأُ الحديدَ هكذا يأكل الحسدُ النفسَ التيَ يسكنها. وكما يقرض العثُّ الثوبَ يلتهم الحسدُ النفسَ التي يتولد فيها. الحسدُ هو الغمُّ بسبب سعادة القريب. ولذلك يظلّ هذا الحزنُ بلا نقصان، لأن لا تعزية للحسود، غير أنه يرى بأمِّ عينه سقوطَ من يحسدهم. ولأن قصدَه واحد، وهو أن ينقلب حال منَ يثير حسده من السعادة إلى التعاسة والحقارة، قد يصطلح حالُ الحسود ويتغيَّر إذا رأى قريبَه باكياً أو صادفه كئيباً. فهو عدوّ الحاضر وصديقُ الهالك.

الحسد **جهاز الشيطان** لمحاربة الإنسان. إنّ محاربَ اللّه أظهر حسدَه إذ اغتاظ من السيّد لوفرة هباته الأرضيّة، فأخذ ينتقم من الإنسان لأنه عاجز عن الانتقام من اللّه. هكذا فعل قايين الذي تعلّم الحسدَ والقتلَ من الشيطان وتشابَه الشرُّ بين الاثنين. فإن **قايين** لما رأى المجدَ المعطى من اللّه لأخيه **هابيل** قتله ليغيظ واهبَ المجد، وسقط في إثم القتل، لأن لا قوة له على محاربة اللّه.

فلماذا تسير أيّها الأرضي لتحارب أخاك الإنسان الذي وجدت بعضَ الخيرات لديه، وهو لم يعمل شيئاً لزوال خيراتك؟ ولكن، إن كنت أنت المنعَم عليك تحنق على ذاتك أفلا تحسد نجاحَك الخاص؟ الحسد نوعٌ غامض من العداوة. والإحسان يجعل بعضَ ذوي النيات الرديئة ودعاء، ويزيد الحسود غيظاً لأنه يحزَن من قوة المحسن ولا يشعر بالشكر نحو المحسن إليه. فالحسود يفوق أشدَّ السباع شراسة وقساوة. يصير الكلبُ وديعاً إن أطعمتَه، والأسدُ أليفاً إن عنَيت به، أمّا الحسودُ فيزداد شراسة إن قدّمت خدمة له. **لقد حسد اليهودُ المخلِّصَ لأجل عجائبه ولأنه خلّص المحتاجين.** قد أطعم الجائعين فأثاروا حرباً على المُطعم، وأقام الأمواتَ فصار معطي الحياة موضوعاً للحسد، وطَرَدَ الشياطين فأسلم منقذ البشر إلى موت العار، **جُرح الشيطانُ بالحسد منذ بدء العالمَ حتى نهاية الدهر فكان الحسد سبباً لسقوطه.**

لقد كان حكيماً من مَنَع «أكلَ خبزِ شريرِ العين» أي الحسود (أمثال٦:٢٣)، ومن هنا نفهم وجوبَ عدم مخالطة الحسود في جميع أمور الحياة. كما أننا نجتهد أن نضع المادةَ القابلةَ للاشتعال بعيدةً عن النار، هكذا يجب أن نتجنَّب الحديثَ مع الحسّاد قدرَ الإمكان، لأن مخالطتَهم تُعدي كما قال سليمان الحكيم: «إنّما هو حسد الإنسان لقريبه» (جامعة٤:٤)، الحيّ لا يحسد المصريَ بل يحسد ابنَ جنسه الأقربَ إليه كالقرين والقريب والأخ، وهو عدو الصداقة، كما اليرقانَ عدو القمح. كلّما اشتدّ الحسدُ في الإنسان كانت وطأتُه ثقيلةً داخله. ولكنّ ضررَ الحسد يعود على صاحبه ويرتدّ إليه كما يرتدّ السهمُ عن الأجسام الصلبة إلى راميه. فإذا غضب المرءُ من كمال قريبه هل ينقص غضبُه شيئاً من كمال هذا الأخير؟ لا يزال الحسدُ يأكل صاحبَه حتى يوهنَ جسدُه فيخبو نورُ عينيه ويغور خداه وينحدر حاجباه وتضطرب نفسُه بالشرّ وتعفّ عن الحكم بصدق على الأشياء. ومثل هذا لا يعود يمدح الأشياء التي تستحقّ الإعجابَ، إنه كالحدأة التي تتجاوز الأماكن الجميلة الأرجة إلى الأماكن القذرة النتنة، وكالذبابة التي تتجاوز الصحيحَ إلى الفاسد.

الحسود لا ينظر إلى بهجة الحياة وعظمة المآثر بل يهبط إلى الفاسد والدنايا فقط. إنْ أذنبَ أحدٌ نشر الحسودُ الذنبَ عاجلاً ليعرف الملأ به كما يفعل المصوِّر الرديء بالوجه المرسوم على اللوحة. الحسود ماهرٌ في جعل الممدوح محتَقَراً محوِّلاً إياه إلى وجه رديء ومفترياً على الفضيلة ومصوِّراً صاحبَها كأثيم. **الحسودُ يدعو الشجاعَ وقحاً، والعفيف عديم الإحساس، والعادل قاسياً، والعاقل خداعاً، والكريم مبذراً، والمقتصد بخيلاً.** وعلى الإجمال يعطي كلّ فضيلة إسماً يناقضها.

فإن كان الموت والابتعاد عن اللّه وزوالُ كلِّ الخيرات يسيل إلينا من الحسد كما ينبوع، فلنسمع إذاً قول المسيح: «ولا نكن ذوي عجب ولا نتغاضب ولا نحسد بعضنا بعضا» (غلاطية٥:٢٦)، «بل كونوا ذوي رفق بعضكم ببعض شفقاء مسامحين كما سامحكم اللّه في المسيح سيدنا» (أفسس٤:٣٢). الذي له المجد مع الآب والروح القدس إلى دهر الداهرين آمين

عظمة والدة الإله

للقديس بروكلس رئيس أساقفة القسطنطينية

بمناسبة عيد ميلاد الفائقة القداسة والدة الإله الدائمة البتوليّة مريم

كل الاحتفالات بشأن قديسي اللّه تستحق الاعجاب وتضاهي لمعان النجوم الثابتة في السماء بنظام معلوم، وعلى أبعاد محدودة تنير الكرة الأرضية كلها. الواحدة تُرى في الهند، ولا تخفى عن سكان شمالي أوروبا متلألئة فوق الأرض ومنيرة البحار. هذه النجوم لا تُحصى ولا تظهر حقيقتها جهاراً وكلها مدهشة تبهج النظر لفرط جمالها وحسن ضيائها. وهكذا كل **قدّيس من قدّيسي اللّه**. فقوة القدّيس لا يحدّها العالم مع أن رفاته محفوظة ضمن القبر: «إن قبر موسى مجهول» (تثنية٦:٣٤). لكن عَصاهُ التي شقّ بها البحر الأحمر تخبر عنه بعد موته. لا نعلم أين دُفن أشعياء لكن الكنيسة تعلن نبوءته:«ها إن العذراء تحبل وتلد ابناً» إشعياء٧:١٤. قد دُفن دانيال في بابل أما نبوءته فتُسمَع في جميع أنحاء الأرض: «فإذا بمثل ابن البشر آتياً على سحاب السماء» (دانيال٧:١٣). مات حنانيا ورفيقاه في بابل لكن المسكونة كلها ترتل يومياً نشيدهم: «باركي الرب يا جميع أعمال الرب» (دانيال٣:٥٧). لقد دُفن حزقيال في بلاد فارس لكنه يصرخ مع الشاروبيم: «مبارك مجد الرب في مكانه» .

نيو كاثوليكون - ميتاأورا في اليونان - ١٥٥٢

إن ذكرى القدّيسين مجيدة، لكن لا شيء يعادل **مجد احتفال اليوم**. قد تمجد هابيل بالذبيحة، ويذكَر أخنوخ لأنه أرضى اللّه، وتمجد ملكصادق كمثال للمسيح، وتعظم ابراهيم من أجل إيمانه، ويمدح اسحق كرمز للفداء، ويُغبَّط يعقوب من أجل المناجزة والوفاء، وتمجّد يوسف من أجل العفاف، واستحق أيوب الاعجاب لصبره، واشتهر موسى كمعطي الشريعة، ويُذكَر يشوع بن نون كقائد عظيم، واستحق إيليا المديح، وإشعيا المجيد للاهوته، ودانيال الغبطة لإدراكه وحذقه، ونال حزقيال المجد لحكمته في ما يعجز القلم عن وصفه، ويُلقّب داود بأبي السرّ بالجسد، وارتفع سليمان كحكيم. ولكن كل ما ذُكر لا شيء بالنسبة إلى **مريم والدة الإله**. فكل مَن ذكرنا شاهَدَ المسيح بالتفاؤل والخيال، **أمّا العذراء النقية فقد حملت المتجسّد في أحشائها**. لا يوجد في العالم شيء يمكن أن يقاس بالعذراء القديسة أو يعادلها أو يتفوّق عليها. فكّر أيها الأرضي بهذا. اقطع الأراضي وفتّش البحار والهواء وتأمّل جيداً في السماء، وافحص القوات المنظورة كلها وقل هل توجد معجزة تماثل العذراء القديسة في المخلوقات كلها: «السماوات تنطق بمجد اللّه» (مزمور١٩:١). الملائكة تخدم اللّه بخوف. رؤساء الملائكة تسجد له بارتعاش، الشاروبيم لا يستطيعون أن يروا مجده. الساروفيم يطيرون فوق تلك الأنحاء ويصرخون بلا انقطاع: «قدوس قدوس قدوس رب الجنود الأرض كلها مملوءة من مجده» (إشعياء٦:٣). «المياه لم تقدر أن تحتمل صوته» (لوقا٨:٣٤). وكان السحاب مركبته لدى الخوف من القيامة. الشمس لم تُطق إهانة الخالق فاضطربت. والجحيم أخرج الأموات من الخوف وتحطمت أبوابه بنظرة واحدة. «والجبل الذي هبط عليه الرب دخّن» (خروج ١٩:١٨) والعليقة لم تقدر أن تحتمل الرؤيا فاشتعلت والأردن خاف وارتد إلى الوراء. والبحر انشقّ مطيعاً إشارة السيّد. عصا هارون أزهرت بقوة الزمن وتجاوزت ناموس الطبيعة. وصفاء الفتية الثلاثة أخجل لهيب النار في بابل.

عدّد أيها الأرضي كل العجائب، **وتعجّب من سموّ العذراء النقية وتفوقها. قد قبلت العذراء النقية في جوفها بصورة لا تُفسّر ذلك الذي تُمجّده الخليقة بأسرها بخوف ورعدة**. قد تطوبت النساء كلهن بواسطة والدة الإله ولم يعرَّض نسلهم للعنة بعد، بل فاق مجد الملائكة. إن حواء تُداوى لتشفى، فينبغي للمرأة المصرية أن تسكت, قد دُفنت داليده، ونُشيَت غيزابل، ولم تُذكَر هيروديا بعد. أمّا الآن فقد تَستحق النساء الإعجاب. قد تمجدت ساره كحقل لأنها أنبتت الشعوب، وتُحتَرَم رفقة كمذنبة حكيمة في مسألة البركة، وتعظمت ليئة كأم لجدّ السيّد بالجسد وتُمدَح دابورة كقاضية خلافاً لجنسها وتغبَّط أليصابات كممتلئة نعمة من السابق **وتغبَّط العذراء النقية كأم وسحابة وقصر وصندوق للسيد**. **أمٌّ** لأنها ولدت الذي أراد الولادة، **وأَمَة** لأن الطبيعة اعترفت بها وبشّرت بالنعمة، **وسحابة** لأنها حبلت من الروح القدس الذي وُلد منها بلا تأثر، **وقصر** لأن اللّه الكلمة حلّ فيها كما يحلّ في قصر مُعَدٍّ للعرس. **وصندوق** لأنها لم تحمل الشريعة بل حملت في أحشائها معطي الشريعة.

وعليه لنصرخ إلى القديسة العذراء مريم. مُباركة انت في النساء أنت وحدك شفيت أحزان حواء. أنت وحدك مسحت دموع الباكية. أنت وحدك حملت ثمن فداء العالم، وأخذت الكنز الذي لا يُثمَّن لتحفظيه. وحدَك حبلت بلا رغبة، وولدت بلا ألمَ، وحدك ولدت عمانوئيل كما شاء هو.لذا نرنو نشيد الخلاص:

اليوم رأس خلاصنا وظهور السرّ الذي منذ الدهور لأنّ ابن اللّه يصير ابن البتول وجبرائيل بالنعمة يبشّر فلنصرخ معه نحو والدة الإله إفرحي يا ممتلئة نعمة الربُّ معك.

رفع الصليب الكريم المحيي

للقديس كيرلّس رئيس أساقفة الإسكندريّة

فصلٌ شريف من بشارة القديس يوحنا الإنجيلي البشير التلميذ الطاهر (١٩: ٦ - ٣١)

في ذلك الزمان عقد رؤَساءُ الكهنة والشيوخ على يسوع مشورةً ليُهلكوهُ * فأتَوا إلى بيلاطُس قائلين اصلبهُ اصلبهُ * فقال لهم بيلاطس خذوهُ أنتم واصلبوهُ. فإنّي لا أجد فيه علَّةً (يو١٩: ٦).

منذ البداية كان رؤساء الكهنة والشّيوخ مصمّمين على إهلاك السيّد، إذ رأوا فيه منافساً على السّلطة. فكانت النتيجة أنّهم أغروا يهوذا على تسليمه، ودفعوا السّعرَ من خزينة الهيكل (مر١٤: ١٠-١١) (زكريا١١: ١١-١٣). ثمّ جمعوا حرس الهيكل مع خدّامهم ليقبضوا على يسوع في البستان مثل لصّ خطير، وأحضروه إلى بيلاطس. أمّا السبب المهمّ لقتلهم «ربّ الكرم» ، هو ظنّهم بأنّهم بذلك سوفَ يتمتّعون بميراثه بعد قتله إذ تعود إليهم القيادة والكرامة التي خسروها. لكنّ المزمور يقول لهم: «الجالسُ في السّموات يضحك منهم ، والربّ يستهزىء بهم» (مز٢: ٤).

إذاً ، لقد وصَلَ رؤساء الكهنة إلى أشدّ حالات الحنق حتّى إنّهم لم يتردّدوا في إختيار هذه الميتة الشّنيعة للسيّد، وهو لم يفعلْ خطأً واحداً يستوجب هذا الحُكم. وابتدأوا يصيحون أمام بيلاطس: «**إصلبه، إصلبه**» لكي يُشعلوا نارَ الغضب والحنق في الشّعب الخاضع لتوجيههم.

أجابهُ اليهود أنَّ لنا ناموساً. وبحسب ناموسنا يجب أن يموت لأنّهُ جعل نفسهُ ابن اللّه (يو١٩: ٧).

ماذا يقول النّاموس على التّهمة التي أُلصقت بيسوع؟ وما هو حكمه عليها؟

كانت عقوبة المجدّفين في سفر اللاويين هي الموت: «كلّ من سَبَّ إلهه يحمل خطيئته، وكلّ من يجدّف على اسم الربّ فإنّه يُقتَل . . . عندما يُجدّف على اسم الربّ يُقتَل» (لاويين٢٤: ١٥-١٦).

إذاً ، فالنّاموس أَمَرَ بأن يُعاقَب بالموت كلّ من تُثبَّت عليه تهمةُ التجديف. لذلك قال اليهود إنّ المسيح مستحقٌ هذه العقوبة «**لأنه جعل نفسه ابن اللّه**». نجد ذلك في (يو٥: ١٨) عندما شَفَى يسوع المخلّع عند باب الضان (البركة الغنميّة) إذ يقول الإنجيلي: «لهذا السّبب كانوا يضطهدون يسوع. ليسَ لأنّه كَسَرَ وصيّة السبت فقط، بل لأنّه قال إنّ اللّه أبوه **جاعلاً نفسَه مساوياً للّه**».

فلمَّا سَمِعَ بيلاطس هذا الكلام إزدادَ خوفاً * ودخَلَ أيضاً إلى دار الولاية وقال ليسوع من أينَ أنتَ فلم يردَّ يسوع عليه جواباً (يو١٩: ٨-٩).

أثمرت خطّة اليهود الخبيثة وأعطت نتيجة غير متوقّعة. لقد اتّهموا المسيح بأنّه قد خطىء إلى اللّه نفسه، هذا ممّا جعل بيلاطس يزداد خوفاً وحذراً ، ويزداد اهتمامه بالمسيح. ولذلك دخل ليسأله مَنْ هو ومن أين جاء، لأنّ بيلاطس وَضَعَ احتمالاً أن يكون هذا الإنسان فعلاً ابن اللّه. فالثقافة اليونانيّة السائدة كانت تدعو بعضَ النّاس أشباه آلهة ، بل أبناء آلهة. والرّومان أنفسهم ألّهوا عدداً من ملوكهم البارزين. لذلك اهتمّ بيلاطس أن يعرف مَن هو يسوع ومِن أين أتى. أمّا يسوع «فلم يجبه بكلمة» كما يقول الإنجيل، ربّما لكي يتذكّر بيلاطس القول: «كلّ مَن هو مِن الحقّ ، يسمع صوتي» (يو١٨: ٢٧).

فقال لهُ بيلاطُس ألاَ تكلّمني . أَمَا تعلم أنَّ لي سلطاناً أن أصلبك ولي سلطاناً أن أُطلقك (يو١٩: ١٠).

لوّح بيلاطس بسلطته الرسميّة وظنّ بأنّه قادر على أن يُخيفَ السيّد ويجعله يتكلّم ويُجيب ضد إرادته. ويبدو أنّ **بيلاطس يؤنّبه**

على صمته إذ لم يفهم معنى هذا الصمت. لاحظوا هنا كيف يتحقّق بدقّة كلُّ ما سَبَق وأخبرَ به الأنبياء: «مثلَ حَمَل يُساق إلى الذّبح ومثل خروف صامت يُساق لمن يجزّه ، ولم يفتحْ فاه، وبتواضعه أُخذَت دينونته» (أش٥٣:٧-٨). وفي (مز٣٨:١-٢) يقول: «أحفَظُ فمي بكمامة بينما الأشرار مجتمعون معي، وأصمتُ عن نُطق كلام الخير».

فأجاب يسوع ما كان لك عليَّ من سلطان لو لم يُعطَ لكَ من فوق. لذلك الذي أسلمني إليك له خطيئة أعظم (يو١٩:١١).

ها يسوع يُجيب هذه المَرّة. فصمته السّابق إذاً لم يكن يعني رفضاً للإجابة ، بل حدّاً للكلام عينه يحول دون الإفصاح عن أصله. وإذا كان بيلاطس يستعرض سلطانه ويدّعي بغباوة أنّه قادر على أن يحدّد مصير السيّد بإرادته ، صدّه المسيح بتصريح عن قوّته الذّاتيّة وأوقفه عند حدوده ، لأنّ اعتداده بذاته وافتخاره بسلطانه مضادٌ تماماً لمجد اللّه.

ويُضيف يسوع: «لو لم تكن قد أُعطيتَ من فوق». عندما يقول السيّد أنّ السلطان قد أُعطيَ لبيلاطس من فوق فهو لا يعني أنّ اللّه الآب أرغَمَ ابنه الوحيد ضدّ إرادته على أن يُصلَب. الإبن الوحيد بذَلَ ذاته وتألّم عنّا. أمّا الآب فقد احتمل إتمام السرّ ـ سرّ الخلاص في الإبن. والمعنى الذي نراه بكلّ وضوح في هذه الكلمات هو موافقة الآب التي أُعطيَت ومسرَّة الإبن بهذه الموافقة بسلطان الإبن، **وبموافقة الآب أُعطيَ لبيلاطس هذا السلطان** ليفعل ما يفعله في اللحظة التي أتت وهي السّاعة التي حدّدها الإبن برضى الآب لآلامه.

«الذي أسلمني إليكَ له خطيئة أعظم». مَن المقصود بكلمة «أسلمني»؟ المقصود أوّلاً التّلميذ الخائن «**يهوذا الإسخريوطي**» ، الذي دمَّرَ نفسه. وثانياً قادةُ الشّعب واليهود: «أُمّتَك ورؤساء الكهنة أسلموك إليّ» (يو١٨:٣٥). وإن كان المسيح ينسب إليهم الجزء الأكبر من اللّوم إلاّ أنّه لا يُبَرّئ بيلاطس من موافقته على الجريمة. بكلام آخر إنّ الخائن يهوذا صارَ مصدَرَ الجريمة أو البابَ الذي يدخل منه الجُرم، بينما صارَ القاضي بيلاطس مجرّد خادم لخطايا الآخرين، واشترك في ذنب اليهود بسبب جبنه وتردّده.

فلمَّا سَمِعَ بيلاطُس هذا الكلام أخرَجَ يسوع . ثمَّ جلَسَ على كرسيّ القضاء في موضع يُقال لهُ ليثوستْروثُن وبالعبرانيّة جبَّتا. وكانت تهيئَة الفصح وكان نحو الساعة السادسة. فقال لليهود هوذا ملككم (١٩:١٣-١٤).

بهذا الوصف الدّقيق يضع الإنجيليّ مسؤوليّة سَفك دم المسيح على اليهود ، لأنّه يقول إنّ بيلاطس كان يُريد أن يُطلق المسيح ، إلاّ أنّه غُلِبَ على أمره بمعارضتهم ولذلك قرّر أن يتخلّى عن مبدأ العدالة الرومانيّة ، ولم يُفكّر في عواقب عمله. وهكذا اقتاد اليهودُ بيلاطس رغماً عنه لكي ينفّذ الحكمَ على المسيح على الرغم من أنه أخبرهم مراراً أنّ يسوع بريء ولا يوجد فيه ما يستحقّ الموت.

القديس كيرلّس الإسكندريّ

أمّا عندما سلّم بيلاطس الإنسان البريء إلى اليهود الساخطين والحاقدين حَكَمَ بذلك على نَفسه ، إذ صَعَدَ وجلَسَ على كرسيّ القضاء ، لكي ينطق بحكم الموت.

كلمة «**جباثا**» تعني المكان المرتفع، «**كرسيّ القضاء**» أي المكانَ الذي تُعلَن منه الأحكام ويمارس القاضي سلطته. فهذه الكلمة إذاً مشتقّة من «**جبا**» العبرانيّة والآراميّة.

«كان إستعداد الفصح وكان نحو الساعة السّادسة»: أي أنّه يوم الجمعة قبل السبت أي يوم التهيئة (Paraskevi)، والساعة هي السّادسة أي نصف النهار (١٢ ظهراً، هذه الساعة التي حصل فيها ، ما قبل التاريخ، في فردوس أرضيّ، سقوط آدم من الفردوس السماوي). وقد إختار الإنجيليّ الإشارة إلى هذا التوقيت بالذّات، **لأنّ السّاعة التي كان يُذبَح فيها خروف الفصح** . إذ يُمكن القول إنّ الفصح كان يقترب من جهتين معاً: – بحسب دورة الطّقس اليهوديّ كان يوم «**تهيئة الفصح**» ، ولكن بحسب مقياس آخر لا يُقاس بزمن هذا العالم، كان يتهيّأ **الفصح الأصليّ** أي ذَبحُ المسيح على الصليب.

أمَّا هم فصرخوا إرفعهُ إرفعهُ إصلبهُ . فقال لهم بيلاطُس أأَصلب مَلككُم . فأجاب رؤساء الكهنة ليس لنا مَلكٌ غير قيصر (يو١٩:١٥).

عادَ اليهود إلى صرختهم القديمة، وبنفس الوحشيّة ، ولم يجزعوا من شهوتهم للدّم. ثمّ إنّ بيلاطس يتعجّب عندما يراهم يعلنون بكلّ حنق أنّ الذي له مثل هذه المكانة الرفيعة عندهم والذي يصفونه أنّه ابنُ اللّه والملك يستحقّ أكثر من الموت العاديّ ، يستحقّ مصيراً مُرعباً ، لأنّ الصّليب أي موت الصّليب هو أشنع الميتات. لذلك أخذَ القاضي بيلاطس صرختهم كوسيلة تأنيب لهم: «**أأَصلب ملككم ؟**» .

«فأجاب رؤساء الكهنة: ليس لنا ملك إلاّ قيصر»:

هذا الجواب يذكّرنا بقول موسى النبيّ عن اليهود: «تركوا اللّه الذي كان أباً لهم، ولم يذكروا الربّ مُعينهم» (تث٣٢:١٨). أنظروا كيف يُحَوِّل إسرائيل عينيه إلى الزّانية (أي إلى روما)، وكما يقول الكتاب: «ويرفض أن يخجل» (أرميا٣:٣) ، ويتخلّى عن مجده ويُنكر ربّه.

ويتّهمهم اللّه في القديم بالتّهمة ذاتها. إذ يتحدّث إليهم على فم إرميا النبيّ قائلاً: «اعبروا جزائر كتيم، وانظروا وأرسلوا إلى قيدار

هل تُغَيِّرُ الأمم آلهتها التي ليست آلهة؟ أمّا شعبي فقد غيّر مجدَه . . . إبْهَتي أيّتها السّموات، واقشعرّي وتغيّري جداً يقول الربّ، لأنّ شعبي عمل شرَّين: تركوني أنا الينبوع الحيّ، لينقروا لأنفسهم آباراً مشقّقة لا تضبط ماء» (ارميا٢:١٠-١٣). إنّ «**جزائر كتيم**» هي قبرص و «**قيدار**» تعني في العبريّة «**الأسوَد**» وهو أحد أبناء اسماعيل (تك٢٥:١٣) و (١أخبار١:٢٩). وقيدار هي بالتّالي تراث اسماعيل، وهي المنطقة الصحراويّة الممتدّة من البحر الميّت حتّى دمشق، ويسكنها البدو الرُّحل.

لاحظوا دقّة الكاتب: فهو لا يقول إنّ الشّعب هو الذي صرخَ هذه الصّرخة الدنسة ، إنّما قادتهم. إذاً أثار الرؤساء الشّعبَ ليصرخوا: «ليسَ لنا ملك إلاّ قيصر». رغمَ أن اللّه الآب يقول بفم النبيّ مُعلناً مجيء المخلّص الملك (زكريا٩:٢٩). فهؤلاء الذين صرخوا «**اصلبه**» هم أنفسهم الذين دخلوا مع يسوع إلى أورشليم ، عندما ركبَ الحمار والجحش ابن الأتان، أكرموه كإله بالتسبيح العفويّ صارخين: «مباركٌ الآتي باسم الربّ» (مت٢١:٩). وأمّا الآن فهم يصرخون ضدّه متّهمين إيّاه بأنّه يهاجم الحُكم الرّوماني ، وطالبين موته على الصليب.

حينئذ أَسلمهُ إليهم للصّلب . فأخذوا يسوع ومضوا به (يو١٩:١٦)

سَمَحَ بيلاطس لليهود أن يسيروا حتّى النّهاية في طريق الإنحلال، إذ تنازل عن سلطانه كقاض وأسلَمَ يسوع إليهم ليُصلَب. لا نستطيع أن نبرّىء بيلاطس من الذّنب ، لأنّه كان يملك أن يسلّم يسوع إلى أيدي قاتليه وجنونهم. وألاّ يسلمه ، ولكنه فعل ذلك ، ليُحقّق لهم ما طلبوه.

فخَرَج وهو حاملٌ صليبهُ إلى الموضع المسمَّى الجمجمة وبالعبرانيّة يُسَمَّى الجلجلة * حيثُ صلبوهُ وآخَرَيْن معهُ من هنا ومن هنا ويسوع في الوسط (يو١٩:١٧-١٨)

حمَلَ يسوع الصّليب وخرجَ لأنّ مصيره قد تحدّد. وموضع الجمجمة أو الجلجلة وبالآراميّة جلجثة، قال عنها أولاً **أوريجنس** إنّ جمجمة آدم كانت مدفونة في هذا المكان، وأكّد على ذلك **القدّيس باسيليوس الكبير** في شرحه لأشعياء. لهذا فالقاعدة الأساسيّة واللاهوتيّة في العهد الجديد، لا سيّما ما ورد في إنجيل يوحنّا هي أنّ المسيح هو «**آدم الثاني**». ولا يُمكن فهم إشارة يوحنا إلى مكان الصّليب إلاّ على أساس أنّه يقدّم لنا «**الفادي**» كآدم الثاني.

أما صليب اللصَّين مع المسيح، يُعطينا رمزاً للشّعبين اللذين يتّصلان به أي اليهود والأمم، لأنّ اليهود حكم عليهم النّاموس إذ تعدّوا النّاموس، والأمم أذنبوا بالوثنيّة لأنّهم عبدوا المخلوق دون الخالق. وأمّا لوقا وحده يتكلّم على توبة أحد اللّصّين. ومرقس الإنجيليّ يرى صَلب يسوع بين لصّين (مر١٥:٢٧) تحقيقاً لنبوءة (أش ٥٣:١٢) : «وقد أُحصيَ مع الأثمة». وهناك مخطوطة لاتينيّة تذكر في (مر١٥:٢٧) وفي (متى٢٧:٣٨) ، أسماء اللّصين وهما: **زوثان ومغاتراس**.

وكتب بيلاطس عنواناً ووضعهُ على الصليب وكان المكتوب فيهِ يسوع النّاصريُّ ملك اليهود (يو١٩:١٩)

هذا هو «الصكّ الذي كان ضدّنا»، والذي قال عنه بولس: إنّ الربّ سمّره في صليبه، وفيه قاد موكب النّصر على الرؤساء والقوّات، (كولوسي٢:١٤-١٥). **لأنّه بالصّليب كُشِفَ عن عدم جدوى القوّة.**

كان عنواناً مكتوباً باليد على الصّليب مثل الصكّ يُكتب على المدينين. والدَّيْن هو لعنة النّاموس التي تُصيب الذين يتعدّون. إنّ غضَب اللّه لم يخمد بعد سقوط آدم ، بل استمرّ على كلّ الذين تعدّوا ناموس الخالق واحتقروه مثل آدم. وهكذا صرنا نحنُ ملعونين ومُذنبين وتحت عقاب اللّه. لكنّ المخلّص محا الصكّ الذي كان ضدّنا عندما سمّره في صليبه. وبهذا أسكَتَ الربّ لسانَ الخطيئة الذي لم يَعد قادراً أن يتحدّث ضدّ الخطأة: «بجلداته شُفينا» (أش٥٣:٥). نحنُ الآن متبرّرين لأنّ المسيح دفع العقوبة عنّا. ففي الصّليب جمع في نفسه كلَّ ينابيع ضعفنا ومصادره ، لكي يمحوها ويُلاشيها.

وهذا العنوان قرأهُ كثيرون من اليهود لأنَّ الموضع الذي صُلِبَ فيه يسوع كان قريباً من المدينة. وكان مكتوباً بالعبرانيّة واليونانيّة والرومانيّة (يو١٩:٢٠)

إنّ التدبير الإلهيّ وقصدَ اللّه الذي لا يُدرَك جعل عنوان الصّليب مكتوباً بثلاث لغات، وهي اللغات الشائعة آنذاك، لكي يُعلن ملكوت المسيح جهاراً للمسكونة كلّها. إنّ عنوان المسيح أتى بمثابة باكورة الثّمار التي أشارت إليها النبوءة: «فأعطيَ سُلطاناً ومجداً وملكوتاً لتخدمه كلّ شعوب الأمم والألسنة» (دانيال٧:١٤). إذاً ، إنّ تنوّع الألسنة واللغات في العنوان الذي سمّره بيلاطس على الصّليب أثمرَ بالأعتراف العلنيّ بسيادة المسيح، حتى إنّ «كلّ ركبة تجثو له من الذين في السّموات والذين على الأرض والذين تحت الأرض، ويعترف كلّ لسان أنّ يسوع المسيح هو ربّ لمجد الآب» (فيلبي٢:١٠-١١). كما أنّ هذه الكتابة تذكّر بسبب الصّلب. وقد وضع الرّومان هذه الكتابة، بحسب رأي البعض، على صليب المخلّص استهزاءً بالمفاهيم المسيانيّة اليهوديّة. أما الأيقونات الأرثوذكسيّة فتستبدل هذه الكتابة السّاخرة بعبارة «**ملك المجد**».

وكانت واقفةً عند صليب يسوع أمُّهُ واخت امّه مريم التي لكلاوبا ومريم المجدليّة (يو١٩:٢٥)

إنّ أم يسوع كانت واقفةً عند الصّليب مع باقي النّسوة يبكين.

وهدف الإنجيليّ يوحنا من هذا الوصف هو أن يشيرَ إلى أنّ المتوقّع قد حدث فعلاً. إذ قيل في مريم العذراء: «إنّ هذا الصبيّ قد وُضِعَ لقيام وسقوط كثيرين في إسرائيل ولعلامة سيُتَكلّم ضدّها. وأنت سيجوز في نفسك سيفٌ لكي تُعلَن أفكارٌ من قلوب كثيرة» (لو٢:٣٤-٣٥). والتّجارب تمتحن قلوبَ الذين يؤمنون وتجعلهم يتخلّون عن الأفكار التي اعتنقوها من قَبْل وتكشف لهم صحّة ما يؤمنون به.

فلمّا رأى يسوع أمَّهُ والتلميذ الذي كان هو يحبُّهُ واقفاً قال لإمّه يا إمرأة هوذا ابنك ❊ ثمَّ قال للتلميذ هوذا أمُّك . ومن تلك الساعة أَخذها التلميذ إلى خاصَّته (١٩:٢٦-٢٧)

إهتمّ يسوع بأمّه من دون أن يهتمّ بآلامه الرّهيبة. أعطاها لعناية تلميذه الذي كان يحبّه ، وطلبَ منه أن يأخذها إلى بيته ، وأن يعاملها كأمّه. وطلب من أمّه أن تعتبر يوحنّا ابنها الحقيقيّ. لماذا تصرّف المسيح هكذا ؟ لقد أراد السّيد أن يُبيّن عمليّاً أهميّة الوصيّة القائلة: «أكرم أباك وأمّك لكي يكون لك الخير» (خر٢٠:١٢). بالإضافة إلى ذلك، ألم يكن الربّ على صواب في أن يهتمّ بأمّه التي اصطدمت بحجر عثرة واضطرب فكرها ؟ بالحقيقة لأنّه إله ، سبقَ فنظر إلى عواطفها وإلى مشاعر قلبها. ولأنّه كان يعلم ما في قلبها ، أوصى تلميذه بها لكي يرعاها ويهتمَّ بها ، ويشرح لها عمق السرّ لأنّه كان حكيماً متعلماً أمور اللّه. ولذلك قبلَها فَرِحاً وتمّم وصيّة المخلّص.

وبعد هذا رأى يسوع أنَّ كلَّ شيء قد تمَّ ولكي يتمّ الكتاب قال: أنا عطشان (يو١٩:٢٨)

كانت الآلام وقد وصلت إلى درجة عُظمى، ولذلك شعر الجسم بالعطش. والألم عادة يثير العطش لأنّ الإنسان يعرق بشكل غير عادي فيفقد الجسم الماء وتتحوّل نبضات الألم في الجسم إلى ومضات نار تحرق الجوف. لقد كان ممكناً لكلمة اللّه أن يحرّر جسده من العذاب بإرادته الحرّة. وهكذا طلبَ أن يشرب. ولكنّ العديمي الشّفقة ، البعيدين عن محبّة اللّه، بدلاً من أن يقدّموا له ما يُطفيء عطشه قدّموا له ما يزيد العطش، وبدلاً من عمل الرّحمة والمحبّة قاموا بمزيد من الشّرّ. ولكن من المستحيل أن تكذب الأسفار الموحى بها التي تقول على لسان المسيح هذه الكلمات: «أعطوني علقماً لكي آكل. وعندما عطشت أعطوني خلاًّ لكي أشرب» (مز٦٩:٢١).

ثمَّ إذ كان يوم التهيئَة فلئَلاَّ تبقى الأجساد على الصليب في السبت (لأنَّ يوم ذلك السبت كان عظيماً) سأل اليهود بيلاطُس أن تُكسَر سوقهم ويُذهَب بهم ❊ فجاءَ الجند وكسروا ساقَي الأوّل والآخَرَ الذي صُلِبَ معهُ ❊ وأمّا يسوع فلمَّا انتهوا إليه ورأوهُ قد مات لم يكسروا ساقَيْه ❊ لكنَّ واحداً من الجُند طَعَن جنبهُ بحربةٍ فخرج للَوقت دمٌ وماءٌ (يو١٩:٣١-٣٤)

لم يكتب الإنجيليّ المبارك هذه الكلمات لكي يوضح تقديس اليهود للوصيّة[1] والإهتمام بما يخصّ اللّه ، بل بالعكس لكي يُظهر أنّهم سفكوا دماً بريئاً وبكل وحشيّة. لذلك أراد الإنجيليّ أن يوضح أنّ عبادة اليهود الشكليّة جعلتهم يرتكبون هذا الإثم الذي تكلّم عليه المسيح: «يصفون البعوضة ويبتلعون الجمل» (مت٢٣:٢٣).

وكما يظهر من النصّ أنّ اليهود لم ينتبهوا قطعيّاً للعمل الرهيب الأثيم الذي فعلوه ولم يشعروا بجريمتهم ضدّ اللّه ، لأنّهم كانوا يحترسون ويدقّقون في الرّموز والفرائض الخارجيّة، ويعلنون بذلك غباوتهم والبرهان على ذلك أنّ اليهود دنّسوا الاحترام اللائق بالسبت إذ أهانوا واضعَ النّاموس إهانات بالغة تفوق الوصف، وأظهروا بشكل استعراضيّ احترامهم للنّاموس. لما كان هذا السبت عظيماً ، أرادوا أن يسجّلوا إكرامهم له في حين أنّهم هم أنفسهم **قتلوا ربَّ هذا اليوم العظيم** ، ولذلك طلبوا من بيلاطس خدمة تتناسب مع قساوتهم وغباوة أرواحهم ، طلبوا أن تُكسر سيقانهم لكي يعذّبوا حتى النهاية أولئك الذين كانوا يقتربون من الموت فعلاً في ألم شديد. وعندما شاهدوا أنّ يسوع قد أحنى رأسه وأسلَم الرّوح ، أدركوا أنّ كسرَ ساقيه جهدٌ ضائع. ولكن لأنّهم كانوا يشكّون في حقيقة موته، طعنوا جنبه بحربة[2] فخرج منه على الفور دمٌ ممزوج بالماء. هنا يضع اللّه أمامنا بشكل رمزي **إعلان سرّ الإفخارستيّة والمعموديّة المقدّسة نابعة من المسيح وهو الذي أسّسها**. وقوّة سرّ الإفخارستيّة أُسِّسَت لنا من جسده المقدّس.

والذي عاين شَهد وشهادتهُ حقٌّ وهو يعلم أنّه يقول الحقّ لتؤمنوا أَنتم (يو١٩:٣٥)

يقدّم الإنجيليّ حدث الطّعن على أنّه «صحيح» ، وبالتالي على أنّه مهم «للإيمان». يدعونا يوحنّا أن نؤمن فقط أنّ الدّم والماء خرجا من جنب يسوع المفتوح. بل أن نقبل بالرّمز المخفيّ وراء هذا الحدث. إنّها المرّة الوحيدة التي يشير فيها يوحنّا إلى شاهد عيان. وهذه الشّهادة تؤول إلى زيادة درجة المسؤوليّة عند الذي يقبل أو يرفض شخصَ يسوع وعملَه الخلاصي. الذي ينبغي له كل سجود وإكرام ولأبيه وروحه القدوس إلى الأبد آمين

---

١ «إذا وُجِدت على الإنسان جريمةٌ تستحقّ القتل فقُتل وعُلّق على خشبة فلا تَبِتْ على الخشبة جثّته، بل في ذلك اليوم تدفنه لأنّ المعلَّق ملعون من اللّه. فلا تنجّس أرضك التي أعطاك الربّ إلهك ميراثاً» (تثنية٢١:٢٢-٢٣).

٢ إنّ جرح المعلّم في الزّمن المسياني سيكون ينبوعاً مفتوحاً لسكّان أورشليم (السماويّة) لذا قال اللّه: «أفيض عليهم روح النّعمة والتضرعات، فينظرون إليَّ أنا الذي طعنوه» (زكريا١٢:١٠)

تفسير القداس الإلهي

الأب المتوحّد غريغوريوس (الجبل المقدّس - جبل آثوس)
تعريب الشمّاس سلوان موسي - دير سيّدة البلمند البطريركيّ

تتمة من العدد السابق

* أشكرك وأسجد لك أيّها الملك الكليّ قدسه

أَخرَج الإله الثالوثيّ الإنسان من العدم إلى الوجود، لأنّه كان ينبغي للصلاح أن يفيض ويمتدّ. (القديس غريغوريوس اللاهوتي).

خلقَ الإنسان وأقامه إلى جانبه، مرنّماً لمجده. ولمّا سقط الإنسان، أقامه مجدّداً وأعاده إلى السماء. لأجل ذلك صار المسيح إنساناً، يقول الذهبيّ الفم، «ولم يتوقّف أن يصنع ويدبّر كلّ شيء، ويعتني لأجل كلّ شيء، بحيث رفع عدوّ اللّه وخصمَه (أي الإنسان) إلى اللّه ونفسه وجعله محبّاً للبشر ... اتخذ المسيح بطريقة من الطرق تقدمة مختارة (باكورة) من الطبيعة البشريّة ورفعها كقربان إلى اللّه السيّد. وكما يحصل عندما يجمع أحدهم سنابل من الحقل ويصنع منها باقة ويقدّمها إلى اللّه، فتغدو هذه التقدمة البسيطة مستمطرة لبركة اللّه على الحقل كلّه، هكذا فعل المسيح أيضاً... فقد قدّم للآب قرباناً مختاراً من الجنس البشريّ، أعني جسده هو. وتعجّب الآب لهذه التقدمة لأجل قيمة ذاك الذي صنع التقدمة، ولأجل كونها بلا عيب – إلى درجة أنّه تقبّلها في يديه، وأقامها إلى جانبه وقال: "إجلس عن يميني". فلأيّ من الخلائق قال اللّه "إجلس عن يميني؟" لذاك الذي سمع في وقت ما "**من التراب أنت وإلى التراب تعود**" ... فتأمّل كم إنحدر الإنسان إلى أسفل وإلى أي علوّ ارتفع! لم يكن هناك مكان أسفل أكثر من الذي بلغ إليه، ولا مرتفع أعلى من الذي رفعه إليه المسيح» (أقوال القديس يوحنا الذهبي الفم).

نشكر اللّه على كلّ ما نعلم وما لا نعلم، الظاهر وغير الظاهر: "أشكرك وأسجد لك، أيّها الملك الكليّ قدسه، لأنّك أنت وحدك غير المائت، الكليّ القدرة، الصالح والمحبّ البَشر، قد انحدرت، قبلَ أن أولَد، من علياء قُدسك وأتيت إلى الأرض وتجسّدت وولدت من العذراء القديسة، لكي تُعيد جبلتي وتحييني وتعتقني من خطيئة الجدّ الأوّل وتهيّئني للصعود إلى السماء. ومن ثمّ، لما وُلدت وكبرت قليلاً، جدّدتني أنت بإعادة جبلتي بالمعموديّة المقدّسة وزيّنتني بنعمة روحك القدّوس ووهبتني ملاك نور حارساً ... إلا أنّ كلّ ما أنعمت به عليّ ... لم يجد أيّ اعتبار عندي، فقد رمَيت نفسي أنا الشقيّ في جبّ أفكار دنسة وأفعال سمجة. ولمّا عَلقت في الجبّ، سقطت في يدي لصوص مختبئين هناك... وإن كنتُ أنا الأسير لديهم، فَرحاً، لأنّي عديم الإحساس، إلاّ أنّك أنت أيّها السيّد، لم تطق أن تراني على هذه الحال ... بل رئفت بي ورحمتني ... ومددت يدك الطاهرة إليّ أنا المنغمس في عمق تلك الحمأة، ولم أكن أراك. هكذا أمسكتني من شعر رأسي ... وأخرجتني من هناك باستخدامك قوّة كبيرة. منذ ذلك الحين إذاً، ارتضيت أن تأتي نحوي مراراً أنت العديم الكبرياء، إلى الوقت الذي

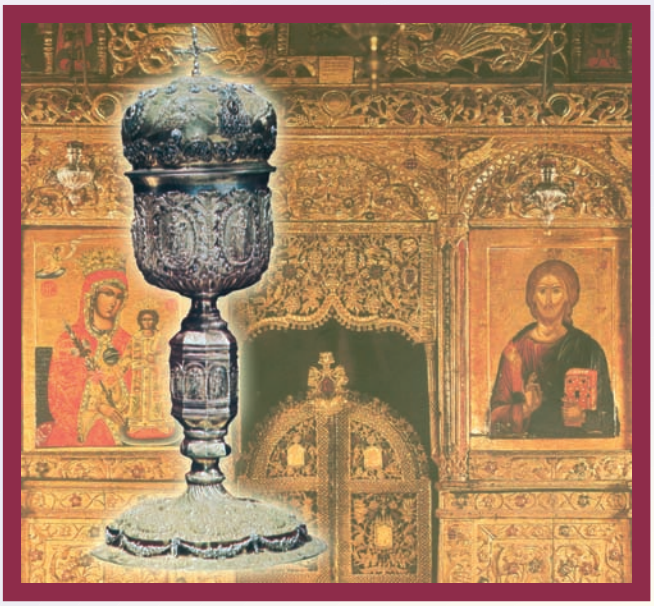

القديس سمعان اللاهوتي الحديث

وقَفت فيه إلى جانب النبع. فأخذت برأسي وغطّسته داخل المياه، وجعلتني أرى نور وجهك بوضوح. وللحال ارتفعتَ واختفيتَ عن الأنظار، دون أن تدع لي المجال أن أدرك من أنت، يا من فعلتَ كلّ هذه الأمور، من أين أتيتَ وإلى أينَ تذهب. (أقوال القديس سمعان اللاهوتي الحديث).

نشكر اللّه على كلّ شيء. نشكره على القدّاس الإلهي الذي يقبله من أيدينا. كان باستطاعة اللّه أن يولي القوّات الملائكيّة الفائقة الطهارة خدمة سرّ الشكر باستحقاق، لكنه عوَض ذلك أهّلنا نحن البشر لأداء هذه الخدمة، وهو يقتبل من أَيدينا غير

الطاهرة القرابين المقدّسة. (القديس إسحق السوري).

نشكره لأجل سرّ الشكر الإلهيّ. وهو، بعد أدائنا الشكر له، يمنحنا نعمة أعظم. "فالشكر الصاعد من قلب الشاكر يدفع بالمُعطي إعطاء مزيد من العطايا أعظم من سابقاتها". فتطول هذه السلسلة المغبوطة: **نعمة ـ شكر ـ نعمة** ... ونلمس غزارة النعمة وفيضها: "فالإنسان الذي يكنّ الإمتنان لخالقه إنما هو إناء لصلاحه وأداة لتمجيده". (أقوال القديس إيريناوس).

نشكر اسمه الكليّ قدسه مرّات لا تنتهي، نمجّده ونسبّحه قائلين: إذ كنت إلهي أيّها الصالح، ترأفت عليّ لدى سقوطي، فارتضيت أن تنحدر إليّ ورفعتني بصليبك لأهتف إليك صارخاً: قدّوسٌ ربّ المجد الذي لا مثيل له في الصلاح" (سَحَر الأحد اللحن الأوّل).

* غلبة المسيح

الختم الذي نطبع به القرابين يكرز بغلبة المسيح: **يسوع المسيح الغالب**. أمّا النشيد الذي نرتّله عند تقديم القرابين فيسبّح غلبة المسيح. إنّه "نشيد الظَفَر". إنّه نشيد الإنتصار والإمتنان العميق نحو ربّ القوّات. (القديس ميثوديوس أوليمبوس).

ويقول القديس مكسيموس: إن نشيد الظَفَر المثلّث التقديس هو كشف لوحدة العالَمَيْن السماويّ والأرضيّ، فهو يُرتّل منهما بآن معاً. ملائكة، بَشَر خليقة ماديّة، عالم عاقل، عالم مادي، عالم عقلي، كلّها تسبّح مشتركة نشيد غلبة الإله ـ الإنسان: "بواجب الإستيهال حقّاً ينبغي ويجدر أن نسبّحك ... يا من السموات وسموات السموات وسائر قوّاتها، الشمس والقمر والنجوم، الأرض، البحر وكلّ ما فيها، أورشليم السماويّة، محفل المختارين، كنيسة طليعة المسجّلين في السموات، أرواح الصدّيقين والأنبياء، نفوس الشهداء والرُسل، الملائكة، رؤساء الملائكة، عروش، ربوبيّات، رئاسات وسُلطات، قوّات رهيبة، الشروبيم الكثيرو العيون، السرافيم ذوو الستّة الأجنحة ... كلّها تسبّحك بأفواه لا تصمت، بأقوال لاهوتيّة، بتسبيح الظَفَر مرنّمين ومسبّحين مجدك العظيم الجلال صارخين وهاتفين بصوت جهوريّ: قدّوسٌ قدّوسٌ قدّوسٌ ربّ الصباؤوت" (راجع ميستاغوجيا ص ١٨٨ ؛ يعقوب أخو الربّ، القدّاس الإلهيّ).

مزدوج هو معنى نشيد الظفر على شفاه القوّات الملائكيّة، الذي رنّمته حول العرش المقدّس، كما شاهد النبي أشعياء في رؤيته. **«تمجيد»** و **«نبوّة»** في آن معاً. "هذا النشيد ليس تمجيداً فقط، بل نبوءة أيضاً بالخيرات التي ستُمنح للمسكونة ... ﴿مجده ملء الأرض كلها﴾. قوله هذا كان نبوءة دقيقة ... فمتى امتلأت الأرض أبداً من مجد الله ؟ عندما طفح هذا النشيد من السماء وتدفّق على الأرض وغدا البشر جوقاً واحداً مع القوّات الملائكيّة، مُرسلين النغمة نفسها نحو الله ومقرّبين تمجيداً مشتركاً" (القديس يوحنا الذهبيّ الفم).

ويبقى هو نفسه معنى نشيد الظَفَر على شفاهنا أيضاً. إنّه **«تمجيد»** لغلبة المسيح التي سبقَ أن تحقّقت، و**«نبوءة»** بالمجيء الثاني للظافر. إنّها بشارة بالظهور الأخروي لإبن الإنسان، بينما تتقدّمه علامة غلبته، أي الصليب. "عندها ستخرّ كلّ الأمم والشعوب التي ظهرت قديماً وتقدّم السجود دون امتعاض، ويحلّ عندئذ توافق مجدلة عظيم: سيسبّح الأبرار كما فعلوا دوماً، بينما سيتضرّع الخطأة عن اضطرار. وعندها سيرتّل نشيد الظَفر من الكلّ، بصوت متّفق: من الغالبين والمغلوبين بآنٍ معاً" (القديس غريغوريوس النيسي).

أتى الملكوت وسيأتي. وكما الظافر هو "الكائن والذي كان والذي يأتي"، كذلك هي غلبته، فهي كائنة وكانت وستبقى غير متزعزعة. وكذلك هي الحال بالنسبة لنشيد ظفَره. ويخبرنا القدّيس مكسيموس أنّه في القدّاس القائم في السماء ستقوم حركة دائمة وثابتة حول الله، حركة الملائكة والبشر الذين سيمجّدون الألوهة الواحدة والمثلّثة الأقانيم.

تظهر الطغمات السماويّة، في القدّاس الإلهيّ، على شكل حيوانات أربع "مملوءة عيوناً من قدّام ومن وراء. والحيوان الأوّل شبه أسد، والحيوان الثاني شبه عجل، والحيوان الثالث له وجه مثل وجه إنسان، والحيوان الرابع شبه نسر طائر. والأربعة الحيوانات لكلّ واحد منها ستّة أجنحة حولها ومن داخل مملوءة عيوناً ولا تزال نهاراً وليلاً قائلة: "قدّوسٌ قدوسٌ قدّوسٌ الربّ الإله القادر على كلّ شيء الذي كان والذي يأتي" (رؤ٤:٦-٨).

الحيوانات الأربعة الكثيرة العيون ترمز إلى القوّات الملائكيّة وهي: ملك الحيوانات الضاريّة **(الأسد)**، ملك الحيوانات الداجنة **(الثور)** ملك الطيور **(النسر)** وملك الخليقة **(الإنسان)**. هذه الحيوانات الأربعة ترتّل ليل نهار نشيد الظفر نحو الربّ الضابط الكلّ: النسر مرنّماً، الثور هاتفاً، الأسد صارخاً، والإنسان قائلاً (جرمانوس بطريرك القسطنطينيّة).وهذه الحيوانات ترمز أيضاً للإنجيليين الأربعة. **هكذا تشترك الخليقة كلّها في تمجيد الله.**

هذا النقش موجود في كنيسة تروفيمي في فرنسا
France_Arles_St_Trophime
فالسيّد المسيح يتوسط الإنجيليين الأربعة
الإنجيلي متى رمزه الإنسان ، الإنجيلي مرقس رمزه الأسد ،
الإنجيلي لوقا رمزه الثور والإنجيلي يوحنا رمزه النسر.

ويقول **الشعب**: قدوسٌ قدوسٌ قدوسٌ ربّ الصباؤوت. السماء والأرض مملوءتان من مجدك. أوصنّا في الأعالي. مباركٌ الآتي باسم الربّ. أوصنا في الأعالي.

يتبع في العدد القادم

المجيء الثاني والاستعداد له

للأب أنتوني م. كونياريس كاهن كنيسة الروم الأرثوذكس في مدينة مينيابوليس - الولايات المتحدة الأمريكيّة (٣)

كيف يمكننا على وجه التحديد أن نستعدَّ لمجيء الرب؟

(١) إنَّ أهل فيلبي سألوا بولس الرسول نفس السؤال: «ماذا نفعل قبل أن يأتي الرب؟» والقديس بولس في رسالته إليهم يعطيهم الإجابة الُملهمة: (إلى أن يأتي، عيشوا في سيرة مُقدّسة، عيشوا للمسيح حتى يمكنكم أن تقولوا: «لي الحياة هي المسيح»). أن تحيا حياتك مع المسيح ولأجل المسيح كل يوم، فهذا يعني أنّك تستعد لمجيئه.

إن حقيقة أن يحيا الإنسان للمسيح باستعداد تام لمجيئه تحكيها لنا الحياة العاديّة. بعد انتهاء مباراة كرة القدم يُحدّد المدرّب ميعاداً مناسباً ليُعيد فيه مع الفريق رؤية المباراة المسجلة على شريط فيديو. سوف تُدرك من ذلك أن جمّ اهتمام اللاعبين في المباراة هو تنفيذ تعليمات وخطة المدرّب قد لا يعلم المشاهدون إطلاقاً إن كان كُل لاعب قد أدّى دوره المحدّد له أم لا، ولكن المدرّب يعلم جيداً ، وهذا سوف يُستعلن على الشاشة عند رؤية الفيديو. نحن أيضاً المُؤمنين لنا مُدَرّب، وقد أنذرنا مسبقاً أنّه سوف يأتي يومٌ تُعاد فيه قصّة الحياة، سوف تظهر الأعمال الجيّدة والأعمال الرديئة كاللعبات الجيّدة واللعبات الرديئة. المدرّب نفسه سيكون في اليوم الأخير هو القاضي. فلماذا إذاً لا نبدأ الآن أن نؤدي دورنا في الحياة،لا لإشباع رغبة المُشاهدين، ولكن لمشاهد آخر:**المسيح الحي**، المدرّب الأعظم، والديّان الوحيد؟

(٢) لا يوجد بالطبع أحد كامل، وبالتأكيد توجد أدوار رديئة في حياتنا كما توجد كذلك أدوار جيّدة، ولكن يجب ألا يعوقنا هذا أو يُثبط من همّتنا. قد يلعب الفرد لعبة رديئة في كرة السلة ويُخطئ الهدف، ولكن برمية أخرى يمكن إعادة الكُرة إلى السلّة. يُقال إنّ أغلب المباريات الفائزة إنّما هي ناتجة عن عودة رميات مُرتدّة. لا يختلف هذا الأمر أبداً عن حياتنا اليوميّة، ولكن بتغيير واحد،وهو أنّ الكرة المرتدّة وإعادتها للسلّة تعني في حياتنا المسيحيّة: (التوبة والتعويض).

(٣) وبالاضافة إلى واجب أن نعيش حياتنا للمسيح ونقضي أيّامنا بالتوبة، فإنّه يلزم أن نعدَّ أنفسنا أيضاً للمجيء الثاني بممارسة المحبّة. وهذه بلا شك أعظم وصيّة أعطانا إيّاها اللّه. نحن نتعامل في حياتنا اليوميّة مع آخرين، وآخرون يتعاملون معنا،ولكن بجوار كل واحد منهم ــ كما يقول يسوع ــ يقف اللّه. كل ما نعمله مع واحد منهم إنما هو مع اللّه. إنّ اللّه صار أخانا، ليس فقط بأنه أخذ على نفسه خطايانا، بل أيضاً بمُماثلته لكل واحد منا، فهو يلاحظ احتياجاتنا وخيرنا وصالحنا كما لو كانت تخصّه هو ذاته. أيُّ استعداد لمجيئه يكون أفضل من هذا؟ بأن نتعامل معه بالحب عندما يأتينا كل يوم في شخص رفقاء بَشَريّتنا. يقول يسوع: إن مقياس دينونتنا الحقيقي سوف يكون بمقياس محبّتنا لرفقائنا:

كما اسمع أحكم وحكمي عادل لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني

«كنت جوعاناً فأطعمتموني» (مت ٢٥: ٣٥).

سأل شخصٌ ما رجلاً مسيحيّاً وقال له: (متى تظن أنّ المسيح يأتي ثانية؟) أما الإجابة فكانت: (لا أظن أنّه الآن هو بعيد). الحقيقة هي أن المسيح هو هنا الآن، فمن خلال الصلاة نحن نتحدّث معه، من خلال كلمته المقدّسة في الإنجيل هو يتكلّم معنا، ومن خلال سرّ الشركة المقدّس هو يأتي الينا ويُقيم مسكنه في قلوبنا. يمكننا أن نختار أن نعيش بقُرب شديد منه، وعندئذ سوف يكون مجيئه الثاني امتداداً واكتمالاً لحضوره. إنّ واجب كل مسيحي الشخصي تجاه المجيء الثاني هو أن يُتمّم فعل التسليم والطاعة الكليّة للمسيح، وهذا بدوره سوف يؤكد حضور المسيح الشخصي في حياتنا الآن.

عندئذ يا إخوتي سوف تنالون السلطان الرائع والإكليل المُشتهى من يد الرب. ثم تملكون عندئذ مع المسيح إلى الأبد وإلى أبد الآبدين، وتنالون العطايا التي وعد اللّه بها أولئك الذين يحبّونه ويخدمونه، وتكونون في مأمن من كل ضرر، وتنتهي الهموم. لن تكون لكم شمسٌ في النهار لتضيء لكم، ولا القمر في الليل، لكن سوف يكون المسيح نوركم الذي لا يخفت ويكون اللّه مجدكم .

وكلاء سرائر الله:

«وهكذا فليحسبنا الإنسان كخدّام المسيح،ووُكلاء سرائر اللّه، ثمّ يسأل في الوُكلاء لكي يُوجد الإنسان أميناً» (١ كو ٤: ١ و ٢).

عندما نفكّر في معنى الوكالة، فإنّ أوّل ما يسترعي تفكيرنا هو المال،ولكن الوكالة في العُرف المسيحي هي أبعد من هذا كثيراً، فهي تشمل وتحتوي كل كياننا وكل ما نمتلكه.

يقول القديس بولس إنّنا: «وُكلاء سرائر اللّه»، دعنا الآن نتناول بعضاً من:«سرائر اللّه» هذه، والتي نحن «وكلاء» عليها.

وكلاء محبّة الله:

إنها أول وكالة، لأن اللّه: «هكذا أحبّ العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يَهلك كل من يؤمن به،بل تكون له الحياة أبديّة» (يو ٣:١٦). اللّه هذا أحبّك حتى أنه بذل ابنه الوحيد من أجلك. هذا ما فعله اللّه، ولكن ماذا فعلتَ أنت في المقابل؟ هل قبلتَ محبّة اللّه وغفرانه؟ وهل تُحدّث به الآخرين من يائسين وبائسين؟ ويوماً ما ــ يوم الدينونة العظيم ــ ستقف لتُسأل عمّا فعلته نحو محبّة اللّه لك، لأنك حقّاً وكيل على محبة اللّه.

وكلاء ابن الله:

الوكالة التالية هي أن اللّه هكذا أحبك حتى بذل ابنه الوحيد لأجلك! فأنت الآن وكيل عن الابن، فماذا يكون موقفك نحو يسوع مُخلّصك، الذي هكذا أحبّك حتى رضي أن يموت عنك؟ هل حقاً سلّمته كلَّ حياتَك ؟ هل حقاً تتبعه من كلّ قلبك؟ أن تتبع يسوع، فهذا معناه أن تربح كل شيء ،وأن تتخلّى عن يسوع ، فهذا معناه أن تخسر كل شيء، لأنه هو وحده:«**الطريق والحق والحياة**»، كما لا يقدر أحد أن يأتي إلى الآب إلاّ عن طريقه. ويوم الدينونة سوف يستبين ما إذا كنتَ قد اخترته أم رفضته؟ لأنك حقّاً وكيل ابن اللّه.

وكلاء الحياة الأبدية:

لماذا بذل اللّه ابنه الوحيد؟ الإجابة هي: «كي لا يهلك كل من يؤمن به،بل تكون له الحياة الأبدية»، ومن ثمّ فقد صرْتَ وكيلاً على هذه الحياة الأبدية التي منحك اللّه ايّاها. عليك أن تعلَم أن الحياة الأبدية ستبدأ هنا، ليس فيما بعد القبر ؛ ولكنّها تبدأ الآن، منذ أن اعتمدتَ باسم يسوع المسيح وقبلتَ ابن اللّه وسرتَ معه. اللّه يمنحكَ الحياة الأبديّة الآن: «إنّ من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبديّة، ولا يأتي إلى دينونة، بل انتقل من الموت إلى الحياة ... تأتي ساعة وهي الآن، حين يسمع الأموات (بالذنوب والخطايا) صوتَ ابن اللّه ، والسامعون يحيون» (يو٥ـ٢٥:٢٤). هل هناك جائزة أعظم من الحياة الأبديّة ؟ هل هناك بَرَكة أعظم منها؟ هل تحيا الحياة الأبديّة الآن؟ في اليوم الأخير سيستبين ما إن كنتَ عشتَ منذ الآن للحياة الأبديّة أم لا.

وكلاء النصيب الصالح:

نصيبنا الصالح هو أن نسمو عن ونرتفع فوق ونعلو عن طبيعتنا البشريّة، وندخل في شركة مقدّسة مع اللّه «كما أنَّك أنتَ أيّها الآب فيَّ وأنا فيك، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا»(يو١٧:٢١). نصيبنا هو السماء: «اللّه يريد الجميع يخلصون وإلى معرفة الحقّ يُقبلون»، ولكن إذ أعطانا اللّه حريّة الإرادة، فقد منحنا أن نختار نصيبنا بأنفسنا: هل نختار أن نكون معه إلى الأبد في السماء ، أو أن نعيش بدونه إلى الأبد في جحيم تمركزنا في أنفسنا وفي شهواتنا وملذّاتنا وخطايانا: «أُشهد عليكم اليوم السماء والأرض، قد جعلتُ قُدّامك الحياة والموت، البَرَكة واللّعنة، فاختر الحياة لكي تحيا» (تثنية ٣٠:١٩). عليكَ أن تختار من تُؤيّد أن تخدمه، فالسماء هي مكان مُعَدٌّ للشعب المستعد، فالإنسان لن يذهب تلقائيّاً أوتوماتيكيّاً إلى السماء بعد موته، لأنَّ السماء تبدأ هنا والآن عندما نختار أن نحيا للمسيح وبالمسيح: «لم يظهَر بعد ماذا سنكون، ولكن نعلم أنَّه إذا أُظهر نكون مثله لأنّنا سنراه كما هو» (١يو٣:٢)، في اليوم الأخير سوفَ يتبيّن ما إن كنتَ عشتَ منذ الآن للسماء والنصيب الصالح أم لا ؟

وكلاء على صورة الله:

لم نُخلَق على صورة **قرد** ولكن على صورة اللّه، وصورة اللّه الحقيقيّة هي ربّنا يسوع المسيح، ونحنُ قد خُتمنا على صورته في القداسة والطهارة والنقاوة والحُب ، ونحن دُعينا لنجعل نمط حياتنا لا بطلاً من الأبطال في الرياضة أو الفنّ، **ولكن الربّ يسوع**، وصار علينا أن ننمو من الصورة التي نحملها إلى الشكل والمثال المدعُوّين إليه في المسيح يسوع.

ماذا حدث لصورة اللّه فينا؟ هل هي صورة قد صُقلَت وتهذَّبت بالصلاة، تسطع بانعكاسات المسيح؟ أم هي صورة مُعَتمة ومُلوّثة تحمل قليلاً أو لا تحمل شيئاً من بهاء المسيح؟ وعندما نظهر أمام الربّ في يوم من الأيام فسوفَ يسألنا: «**أنا أعطيتكم صورتي فأين الشكل والمثال؟**». إذاً بعد أن خُلقنا على صورة اللّه، فقد بدأنا من التراب، وعلينا بنعمة اللّه أن ننتهي إلى ملء قامة المسيح، إلى الإتحاد الأبدي والشركة مع اللّه.

وكلاء على أجسادنا:

نحنُ ننتمي إلى اللّه، ولم يعُد لنا إلاّ أن نُمجِّد اللّه في أجسادنا لا أن نتصرّف فيها وبها كيفما نشاء ، لأنّه اشترانا وأعادنا إلى نفسه بدمه الكريم وحوَّل أجسادنا إلى هيكل مُقدَّس لروحه القدّوس، ممَّا دعا بولس الرسول أن يشهد: «أما تعلمون أنّكم هيكل اللّه وروح اللّه يسكن فيكم. إن كان أحد يُفسد هيكل اللّه فسيفسده اللّه، لأنّ هيكل اللّه مُقدَّس الذي أنتم هو» (١كو٣:١٦–١٧). كما ويُضيف أيضاً: «أمَّا الجسد فللرب، والرب للجسد» (١كو٦:١٣)، ويزيد الرسول أيضاً: «أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القُدس الذي فيكم، الذي لكم من اللّه ، وأنّكم لستُم لأنفسكم؟»(١كو٦:١٩). ماذا عن جسدك هذا الذي أخذته إعارة من الرب؟ هل تحفظه نقيّاً وطاهراً ومُقدّساً ؟ وهل تتعامل معه كهيكل للرّوح القدُس ؟

كُن أميناً إلى الموتِ فسأعطيك إكليل الحياة (رؤيا ٢:١٠)

يتبع في العدد القادم

أبحاث لاهوتية

الآباء في مواجهة الهرطقات (٢)

القديس إغناتيوس الإنطاكي (حامل الإله)

والآن نعود إلى تعاليمه بالنسبة للموضوعات الثلاثة التي عالجها في رسالته ، فلقد انشغل القديس إغناتيوس بالموضوع الأوّل، الذي هو **أهميّة خدمة الأسقف وعمله** ، وذلك لأنّ كثير من المؤمنين، اعتقدوا بأنّه من غير الضروري أن يشتركوا في الإفخارستيّا التي يقيمها أسقف المنطقة، وبالتالي فإنّهم تشكّكوا وتردّدوا في قبول فرادة مسئوليته المطلقة، وعليه أقدموا على تكوين جماعات تقسّم الكنيسة، وإقامة قداسات خاصة بهم. هكذا كان من الممكن أن يُصبح الأسقف وخدمته الرعويّة "**كأسقف**" في الكنيسة، خدمة ظاهريّة بدون أساس لاهوتي.

وهنا نجد أن القديس إغناتيوس قد واجه هذه المشكلة بطريقة لاهوتيّة، وذلك بتوضيح ارتباط شرعيّة الإفخارستيّا بالأسقف. ذلك لأنّ الأسقف "**مرتبط**" بالمسيح، وعليه يجب أن يرتبط المؤمنون بالأسقف. فدَورالأسقف في الكنيسة لا يمكن لآخر أن يقوم به:

« لا تأتوا عملاً يخص الكنيسة بدون الأسقف. الإفخارستيّا الشرعيّة هي التي تتم بواسطة الأسقف ، أو من ينتدبه الأسقف» (سيمرنا ٨:١). وذلك لأنه يخدم فيها كمثال اللّه حيثُ إنّه «مثال الآب» (ترالياس٣:١) ، وهو استمرار لعمل الربّ والرسل ، وهو أيضاً «في مكان اللّه» (مغنيسيا ٦:١).

ويلاحظ **الأب يوحنا رومانيدس** وجود ارتباط بين الأسقف والإفخارستيّا فيكتب قائلاً: " نجد عند القديس إغناتيوس علاقة غير منفصلة بين الأسقف والإفخارستيّا ، إذ أنّ الوحدة مع الأسقف والوحدة مع الآخرين في الخبز الواحد وفي الهيكل هي حقيقة واحدة. فهناك جسد واحد للرب وكأس واحدة وهيكل واحد كما أن هناك أسقف واحد ... الليتورجيا هي مهمة الأسقف الذي ينبغي أن تقام الأسرار كلها تحت إشرافه ... إنّ مائدة المحبّة لا تتم بدون الأسقف ".(**الأب جون رومانيدس: لاهوت الكنيسة عند القديس إغناتيوس الإنطاكي، ترجمة الأب ميشال نجم ، لبنان ، ص ٢٦**).

وفي موضع آخر يقول **الأب رومانيدس**: "إنّنا لا نستطيع فصل الأسقف عن المذبح. أما من هو خارج المذبح، فليس خاضعاً للأسقف ومن كان بعيداً عن المذبح يُحرَم من خبز اللّه ... إنّ الأسقف كمركز للوحدة في الحياة الليتورجيّة السرائريّة ، هو ضرورة قصوى للخلاص ، لكن خدمته ليست مستقلة عن خدمة المؤمن" (**المرجع السابق**).

وهنا نرى أن القديس إغناتيوس قد عالجَ موضوع خدمة الأسقف ودوره، على أساس لاهوتي كما سَبَقَ القول، ولهذا كانت النقطة التالية في تعاليمه اللاهوتيّة هي الإهتمام بموضوع **وحدة الكنيسة** ، ففي شخص الأسقف تكون الوحدة الحقيقيّة للكنيسة ؛ فارتباط الإنسان باللّه يحتّم عليه ارتباطه بشخص الأسقف، وهو في الوقت نفسه دليل على ارتباط الإنسان بالكنيسة. ولو لم يكن لدينا هذا الإرتباط بين المؤمنين، لما كان لدينا بالتالي "**الكنيسة الجامعة**" لهذا نراه يكتب إلى كنيسة سيمرنا قائلاً: «فحيثما يكون الأسقف فهناك الرعيّة، كما أنه حيثما يكون المسيح فهناك تكون الكنيسة الجامعة» (الفقرة الثالثة).

والجدير بالذكر أن القديس إغناتيوس هو أب وكاتب كَنَسي يستخدم مصطلح "جامعة" (Καθολικὴ) ليصف به الكنيسة. ولم يَرد هذا المصطلح من قَبل عصر إغناتيوس ، كما أنه جديرٌ بالملاحَظة أن هذا المصطلَح **لا علاقة له بكلمة** "**كاثوليكية**" التي تُوصف بها الكنيسة اللاتينيّة الغربيّة في روما ، بل هو مصطلَح شرقي يستخدم في الليتورجيات الشرقيّة القديمة ومنها الليتورجيّة في **كنيسة الروم الأرثوذكس** حيثُ توصف فيها الكنيسة بأنّها "**الكنيسة الواحدة الوحيدة المقدّسة الجامعة (الكاثوليكيّة) الرسوليّة**". وذلك لأن هذا المصطلح يُعبّر في الأساس عن وحدة الإيمان، كما يعبّر عن خبرة روحيّة تُعاش عن طريق علاقتنا باللّه الآب في المسيح يسوع بالروح القدس، وبالتالي فهو ليس صفة تُكتسب بالوجود في مكان معيّن. "فالكاثوليكي" بالمعنى الشرقي هو كل مسيحي يجتمع بغيره في الإفخارستيّا في وحدة الإيمان ، وفي حياة بذل لذاته من أجل الآخرين ، أو حسب تعبير القديس إغناتيوس هو مسيحي يتحلى بـ "أخلاق اللّه" (مغنيسيا ٢:٦). وهذه الأخلاق تبدأ بإنكار الذّات، لهذا نجد أنّ القديس إغناتيوس يركّز على هذه النقطة ويُرجعها إلى بُعدها اللاهوتيّ فيقول:

"وكما أنّ السيّد لم يعمل عملاً بذاته ولا على يد رُسله بدون الآب ، لأنّه واحد مع الآب ، هكذا أنتم لا تأتوا عملاً بمعزل عن الأسقف والقساوسة» (مغنيسيا ٧:١).

والمشكلة أنه عندما يدخل الفكر غير المستقيم الذي يُنكر وحدة الجوهر بين الآب والإبن ، يصبح موضوع علاقة الإبن بالآب حجر عثرة ، إذ أن مثل هذا الفكر عندما يسمع أن الإبن لم يعمل عملاً بذاته بدون الآب، فإنّه يُعتَقد مباشرة أن الإبن بدون إرادة خاصة. وفي المقابل يأتي **الفكر المستقيم** الذي يرى أن الإبن لم يعمل عملاً بذاته بدون الآب، لأنّه واحد مع الآب في الجوهر كما يقول السيّد نفسه (يو ١٠:٢٠)، وهذا ما يعبّر عنه القديس إغناتيوس في محاولته لإيجاد حلّ يعتمد على الأساس اللاهوتي لمشكلة إنقسام الكنيسة في عصره. وهنا **يَكْمُن** سرّ الكنيسة بل وقوّتها. إنه لا يوجد إرادة مستقلة لأنّ الإرادة هنا إرادة واحدة.

ويلفت القديس إغناتيوس أنظارنا إلى أمر آخر يتبعه الهراطقة، وهو محاولتهم لإيجاد مبرّرات وبراهين لانعزالهم وانفرادهم بعيداً عن الكنيسة، فيخاطب أهل مغنيسيا قائلاً: «لا تحاولوا أن تدعموا بالبراهين ما تنفردون بعمله ، بل اعملوا عملكم حسب الشركة، وهي صلاة واحدة ... فكر واحد ... هذا هو يسوع المسيح» (الفقرة السابعة ١). وهنا نجد أن القديس إغناتيوس يشجب هذا التصرّف ويبيّن بطلان هذه المبرّرات، ويُعطي معياراً دقيقاً للحكم على هذه الأمور وهو "**الشركة**". هذه الشركة تقوم في الأساس على الصلاة الواحدة والفكر الواحد والرجاء الواحد. هذه كلّها من يسوع المسيح الذي جاء بعمل الوحدة وبالشركة مع الآب. ويصل القديس إغناتيوس إلى الحقيقة التي يضعها أمامنا الآن، وهي أنّه **لا قيمة بالمرّة لما تعملون خارج الشركة** أي خارج "يسوع المسيح الذي لا يفضله شيء". أي **لا يسمو** عليه شيء. ولمّا كان يسوع المسيح هكذا فإنّ القديس إغناتيوس ، كأنما يوجّه سؤالاً إلى كل مَن يسعى لانقسام الكنيسة ، وتكوين جماعات من خارج لا تعمل تحت إرادة الأسقف الشرعيّ وفي شركة معه بقوله: فما قيمة أعمالكم خارج المسيح؟ والجواب الحتميّ لهذا السؤال إنها في النهاية ستتبدّد.

ونأتي إلى النقطة الأخيرة وهي تعاليمه عن حقيقة **سرّ الإفخارستيّا** لمواجهة الأفكار الخاطئة للدوسيتيين (الخياليين)، والتي اخترقت الكنيسة ونادت بأنّ آلام السيّد كانت آلاماً ظاهريّة فقط، فقد علّم القديس إغناتيوس بأنّ آلام السيّد المسيح هي آلاماً فعليّة وأن هذه الآلام الفعليّة للمسيح وقيامته هي حتميّة جوهريّة، لحضوره الفعليّ في الإفخارستيّا. فما يُعطى في الإفخارستيّا هو **دواء للخلود** ، وهي تقدمة مُعدّة لتحفظنا من الموت ، وتؤمّن لنا الحياة الدائمة مع المسيح (أنظر أفسس ٢:٢٠). وسرّ الإفخارستيّا يتحقّق مدلوله في اشتراك المؤمنين فيه كأعضاء في جسد المسيح، لهذا يقول القديس إغناتيوس موّجهاً حديثه إلى أهل تراليا قائلاً: «يدعوكم يسوع بآلامه كأعضاء من أعضائه. لا يُمكن أن يكون رأساً بدون أعضاء، اللّه وحده الذي وعدنا بهذه الوحدة» (١١ : ٢). وهكذا تظهر الصورة الحقيقيّة للكنيسة في اتحاد المؤمنين في شخص المسيح، ولهذا أمكَن أن يدعوها إغناتيوس "كنيسة اللّه الآب وابنة المحبوب جدّاً يسوع المسيح" (مقدمة رسالته إلى أهل سيمرنا)

وأيضاً "كنيسة اللّه الآب وربّنا يسوع المسيح" (مقدمة رسالته إلى أهل فلادلفيا).

وهكذا نرى أنّ القديس إغناتيوس لم يكن فقط أوّل أب ومعلّم للكنيسة ، بل كان أيضاً أول أب وكاتب كنسي، يعتمد في تعاليمه اللاهوتيّة وكتاباته على استنارة وقيادة الروح القدس له. فقد كانت إجابات القديس إغناتيوس على المسائل التي تتعلّق بالحقّ الإلهيّ ، هي نتيجة استنارته بالروح ، فهو يعبّر عن رأي الكنيسة في مثل هذه الأمور الخلاصيّة والحسّاسة فقط "لو أن ـ كما يقول نفسه ـ اللّه أعلن له شيئاً» (أفسس ١:٢٠)، وهو يؤكّد لأهل فيلادلفيا (فقرة ٧) إن ما كتبه لهم بخصوص ارتباطهم بالأسقف، بإعلان الروح له.

ختام:

على ضوء تعاليم **القديس إغناتيوس** ومنهجه في مواجهة الهرطقات، نستطيع ذكر النقاط التالية:

+ إنّ مرجعيّة كل خدمة أو عمل ديني أو تعليمي ، يجب أن تكون مرجعيّة كنسيّة، بمعنى أن تكون مرتبطة بالكنيسة.

+ هذا الإرتباط ينبني لا على أسُس إجتماعيّة أو عرقيّة أو فئويّة ... الخ، بل على أُسس إيمانيّة عقيديّة راسخة، فإن اختلّ هذا الإرتباط، فإن الأمر يتطلّب مراجعة للنفس، وتقويماً للسلوك.

+ يسمي آباء الكنيسة هذا الإرتباط بـ "الشركة".

+ هذه "الشركة" تبدأ بشركة الإيمان الواحد بالمسيح الواحد وبإفخارستيّا واحدة تُقام بواسطة الأسقف الواحد.

+ الشركة إذن هي التعبير الحيّ عن هذا الإيمان، وبالتالي فأي شخص أو أي مجموعة أياً كانت مبرّراتها أو ادعاءاتها، لا تعيش في شركة الكنيسة أي شركة الجسد الواحد فهي تسعى وتعمل لا لوحدة الكنيسة وإيمانها الواحد، بل لانقسام الكنيسة بنشر أفكار غريبة مبرّرين بها إنعزالهم بعيداً عن الكنيسة.

+ وشخص الأسقف هو رمز لوحدة الكنيسة ، والالتفاف حوله كنسيّاً ومعايشة الإفخارستيّا الواحدة التي يقيمها الأسقف الواحد يكون علامة لتحقيق هذه الوحدة، فهو يمثّل مع المؤمنين الصورة المنظورة لوحدة الكنيسة.

+ يوصي القديس إغناتيوس ـ مثله مثل كل آباء الكنيسة الذين أقامهم اللّه لمواجهة الهرطقات والهراطقة عبر العصور ـ باليقظة والحَذر واقتناء روح التمييز، حتى يتجنّبوا هؤلاء الذين يعلّمون تعاليماً منحرفة.

+ التوبة الحقيقيّة هي العودة إلى شركة الجسد الواحد، والتعبير الكنسي عن هذه التوبة هو الخضوع التّام لشخص الأسقف.

+ ومن هنا جاءت العبارة المشهورة "**لا خلاص خارج الكنيسة**" والتي تعكس البُعد "**الإكليسيولوجي**" * في قضيّة الخلاص، وتنفي عنها بُعدها الفردي.

* نقصد بكلمة "الإكليسيولوجي" التعليم عن الكنيسة والذي يعالج مفهوم الكنيسة كجسد المسيح وأن المؤمنين هم أعضاء في هذا الجسد ، وعمل المسيح الخلاصي من خلال أسرار الكنيسة المقدسة الجامعة الرسوليّة.

صلاة يسوع
الصلاة الهدوئيّة

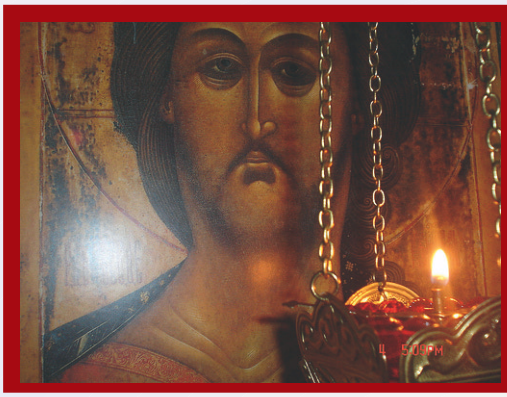

مقدمة عن الصلاة:

الصلاة استراحة للنفس. تحتل الصلاة لدى المؤمن الجهد الأكبر من حياته لأنها تجعله في صلة مع اللّه مصدر حياته وهدفها. والصلاة يجب أن تكون متواصلة. إن كان الحديث مع اللّه بتواضع, بإحساس النفس عميق, بإحساس بخطيئتها عندئذ لا تكون الصلاة عبئًا على الإنسان بل تريحه خاصة إذا كانت هكذا قلبية. دراسة الكتاب المقدس تساعد كثيرًا لهذا النوع من الصلاة لأن مطالعة الكتاب تُدخل الدفء إلى النفس وتنقل المصلي إلى أجواء روحية.

يؤكد لنا الرب يسوع في الإنجيل «إن كل ما تطلبونه في الصلاة فآمنوا أنكم قد نلتموه فيكون لكم»(مر١١:٢٤). يقف فيها الإنسان أمام اللّه بالذهن بأعماق كيانه دون أن يستخدم الصور والتخيّلات. يقول **القديس سلوان الآثوسي** في هذا الصدد: «لا بالتخيلات والصور المزوجة مع الفكر, لا بالوعي العقلي حيث يشترك الإدراك فقط, بل بالفكر والقلب معًا مع انسحاق وتوبة وإحساس بمحبة الله». يشهد الكتاب المقدس على مثل هذه الصلاة في حياة المسيحيين الأولى. نقرأ في أعمال الرسل «هؤلاء كلّهم كانوا يواظبون بنفس واحدة على الصلاة مع النساء ومريم أم يسوع ومع أخوته»(أع١:١٤). وبولس الرسول يذكّر: «مصلّين بكل صلاة وطلبة كل وقت في الروح وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبة لأجل جميع القديسين»(أف٦:١٨).

نحن نجد في الكتاب المقدّس أن كل إعلان إلهي كان يُنظر إليه كظهور إلهي، كفعل اللّه المباشر. وجنبًا إلى جنب مع ذلك كان الاسم يحوي قوّة مزدوجة ـ حسًا بالإله الحيّ من جهة ـ ومعرفة به من جهة أخرى. من هنا الخوف من «نطق اسمه باطلاً» (خر٢٠:٧). فالاسم يسوع يدلّنا، أولاً وقبل كل شيء، على سبب مجيء اللّه في الجسد «لأجل خلاصنا». ففي أخذه طبيعتنا يشير اللّه إلى أنه بإمكاننا، نحن أيضًا، أن نصبح أبناء اللّه.

ممارسة صلاة يسوع:

«أيها الرب يسوع المسيح ارحمني» – هذه هي العبارة التي نردّدها عادة وفي صيغتها المطوّلة نقول:«أيها الرب يسوع المسيح يا ابن اللّه ارحمني أنا الخاطىء». تقوم هذه الصلاة على استدعاء الاسم، اسم يسوع, بصورة متواصلة مما يعطي الصلاة قوّتها. القوة تأتي من الاسم ومن استدعائه بصورة متواصلة. الاسم هو قلب الصلاة, يمكن لنا أن نقول **«يسوع المسيح»** أو نقتصر على اسم **«يسوع»**. عادة نردّد الصلاة مسموعة لكن يمكننا أن نردّدها بالفكر. عندما يتعب اللسان يلتقطها الفكر وعندما يعتاد الفكر عليها ينزلها إلى القلب ليجتمع الفكر مع القلب فيصبح الإنسان كلّه يردّد الصلاة, يصلّي كيانه كله من كل قلبه وذهنه وفكره.ما يجعل هذه الصلاة عمليّة هو أننا نستطيع أن نردّدها في كل حين وفي كل مكان, في الغرفة, في البيت, على الطريق, في المكتب وفي الكنيسة... يمكن أن نصلي ونحن ماشين, واقفين أو جالسين ولكن ليس نائمين. على المبتدئين أن يختاروا في البداية أماكن هادئة وأوقاتًا معينة. هناك إذًا ممارسة مركّزة ومُبرّمجة لصلاة يسوع (هذه الممارسة تدعى قانونًا مثلاً عند الرهبان) وهناك ممارسة حرّة تتم في كل وقت وفي كل مكان. إن صلاة يسوع لها قوة كبيرة إلى حدّ أنها تفعل حتى في اللاوعي. بهذا المعنى نفهم عبارة نشيد الأناشيد «أنا نائم وقلبي مستيقظ»(نش٥:٢). هكذا بفضل رحمة السيّد الغزيرة يحيط اسمه بهالة من الفرح والحرارة والنور «اسمك عطر مهراق... فاجذبني»(نش١:٣-٤).

لا تتعارض صلاة يسوع مع الصلوات الليتورجية مع العلم أنه في بعض الأحيان يمكن لها أن تحلّ مكان صلاة الغروب والسحر والساعات ما عدا القداس الإلهي. ميزتها أنها تبسّط حياتنا الروحية (تجعلها بسيطة غير معقدة) وتوحدّها. كُل من يصلي صلاة يسوع يتّحد بالمسيح عن طريق الصلاة وبه وفيه يتحد بأعضاء الكنيسة الجامعة. يتجاوز الانقسامات البشرية. استدعاء اسم يسوع طريق إلى الوحدة المسيحية. «لكن تأتي ساعة وهي الآن حاضرة» يقول يسوع للسامرية (يو٤:٢٣). أتت الساعة لأن يسوع حاضر.

«أنا هو القيامة والحياة» يقول يسوع لمرتا في حادثة إقامة لعازر الرباعي الأيام (يو١١:٢٥). هي تساعدنا أيضاً أن ندخل في صلة مع أمواتنا. حياتهم الحقيقية هي في يسوع المسيح, في اسم يسوع نتصل بالقديسين «واسمه على جباههم»(رؤ٢٢:٤). «كل شيء يجمع في المسيح»(اف١:١٠). الاسم يسوع كامل, حضور شامل. عدسة تستقطب نور يسوع الساطع. اسمُ الذي هو نور العالم, يساعدنا على إضرام النار في القلوب «جئت لألقي ناراً على الأرض»(لو١٢:٤٩), لنصبح إناءً مختارًا. فيقول لي المسيح كما لشاول «لأن هذا لي إناء مختار ليحمل اسمي» (أع٩:١٥).

القديس غريغوريوس بالاماس (1296 – 1359) تكلم عن **النُّور غير المخلوق** والتمييز بين الجوهر والقوى. كل ذلك نتيجة خبرة صلاة يسوع.

الصلاة أو الهدوء متّصل بالإيمان القويم, بالأعمال الصالحة وبأعمال الرحمة. ترتبط أيضًا بقراءة الكتاب كما ذكرنا, بالسهر وبالصوم ونظام الطعام, إلى حدّ تستطيع فيها النفس أن تقول مع نشيد الأناشيد «لقد جرح قلبي بالعشق الإلهي».

«يا ربي يسوع المسيح، يا ابن اللّه، ارحمنا وارحم عالمك»

لقد أُعطي لنا اسم يسوع بكشف من العُلى. وهو ينبثق من المدار الإلهي الأزلي وليس بأي شكل من الأشكال نتاج عقل أرضيّ, رغم أنه يعبّر عنه بكلمة بشريَّة يوميَّة. الكشف فعل وهو طاقة الألوهة, وينتمي بحدّ ذاته إلى مدار آخر يتخطّى الطاقات الكونيَّة. وفي مجده السماويّ اسم يسوع يفوق الكون ويسمو عليه.

إن من يؤمن بأن وصايا الإنجيل أُعطيت من لدن الإله الواحد الحقّ يستنبط قوَّة من هذا الإيمان بالذات لكي يحيا على صورة المسيح. إن صلاة يسوع في جوهرها هي أرقى أنواع الصلاة في شكلها الخارجيّ, ولكن عمليًا, بسبب عدم تمكننا من الاستمرار فيها لوقت طويل «بذهن نقيّ», يستعين المؤمنون بـ «المسبحة». هكذا باسم يسوع المسيح يصير ممكنًا أن نغطّي كل حدث داخلي أو خارجي. وهكذا تصبح هذه الصلاة العجيبة شاملة جامعة الهدوء القلبي.

الصمت في الصلاة:

إن لفظ هدوئيّ يعني في الأصل الناسك أو الراهب الذي يعيش في عزلة, لا وسط جماعة رهبانيّة. من هذا المنطلق, تُفهم الهدوئيّة على أنها حالة وجدانيّة داخليّة. أما أعمق معاني الهدوئيّة فهو«العودة إلى الذّات». فالهدوئيّ, بالمعنى الحقيقيّ للكلمة, ليس هو من يمضي الوقت خارجًا في الصحراء, بل هو المسافر داخليًا في قلبه الخاص. ليس الهدوئيّ من ينقطع جسديًا عن الآخرين, مقفلاً باب صومعته, بل إنه من «يعود إلى ذاته» مقفلاً باب نفسه. ولئن كان الهدوئي متوحدًا يعيش في الصحراء, إلاّ أن الوحدة ليست مكانًا جغرافيًا بل حالة روحيّة. فالصحراء الحقيقيّة موجودة في عمق القلب.

الابتعاد عن الناس, والتزام الصمت, والعزلة:

هذه هي درجات الهدوئيّة الثلاث. الدرجة الأولى مكانيّة, وهي «الابتعاد عن الناس» خارجيًا وجسديًا. الثانية خارجيّة وهي «الصمت» أي الامتناع عن الكلام. ومن أجل التوصّل إلى الراحة الداخليّة الحقيقيّة لا بدّ من العبور من الدرجة الثانية إلى الدرجة الثالثة, أي من الهدوئيّة الخارجيّة إلى الهدوئيّة الداخليّة ـ إلى ما يدعوه القدّيس أمبروسيوس أسقف ميلانو (+ 397) «الصمت الفاعل والخلاَّق».إذًا, الهدوء القلبيّ يعني الانتقال من صلاتي أنا إلى صلاة اللّه الذي يعمل فيَّ أو, الانتقال من الصلاة «المرهقة» و«الصارمة» إلى الصلاة «العفويَّة والمتدفّقة». والصمت الحقيقيّ أو الهدوء القلبيّ هو, في معناه الأعمق, مطابق لصلاة الروح القدس غير المنقطعة فينا. وكما يقول القدّيس إسحق السوريّ: «عندما يسكن الروح القدس في إنسان ما فإنّ هذا الإنسان لا يكفّ عن الصلاة لأنّ الروح القدس يصلّي فيه طوال الوقت. فسواء نام هذا الإنسان أو استيقظ, ومهما فعل, لا تفارق الصلاة نفسه, سواء أكل أم شرب أم خلد إلى النوم, وحتى في سباته العميق, فإنّ روائح الصلاة العطرة تفوح في قلبه ومنه دون عناء».

إن استدعاء اسم يسوع يساعدنا على أن نركّز حول نقطة واحدة شخصيّتنا المفكّكة. فاستدعاء اسم يسوع باستمرار يساعدنا على تسليم أمرنا للّه والابتعاد عن الثرثرة المتواصلة. هكذا تستطيع صلاة اسم يسوع أن تُحلّ الهدوئيَّة في القلب، وينتج من ذلك أنّ ذكر اسم يسوع يجب أن يتبع إيقاعًا معينًا ومنظمًا من أجل بلوغ الهدف المنشود. ويجب أن يكون هذا الذكر مستمرًّا من دون انقطاع قدر المستطاع، فبعض العناصر الخارجيَّة كمسبحة الصوف والتحكّم بحركة التنفّس، تساعد على تحقيق هذا الإيقاع المنتظم. ثمّ خلال تلاوة الصلاة, يجب أن يكون الفكر خاليًا من كلّ تخيّل عقليّ.

الخلاصة:

ليست قضية صلاة يسوع في تاريخها بل في ممارستها، فهي لم تزل حيّة خاصّة في الشرق المسيحي. هي وديعة من تراثنا المقدّس, كنز ثمين لا يقدّر. كُل مصلّ يمكنه أن يعتاد عليها أن يستفيد من ثمارها. حسبنا أن نقرع باب رحمة اللّه. سيفتح لنا المسيح الإله. إن أحببناه كثيرًا أعطانا كثيرًا فلنقبل إليه بحماس. هو يعطينا وصياه الخلاصية، وممّا قاله لنا في ما يختص بالصلاة باسم يسوع: «مهما سألتم باسمي فذلك أفعله ليتمجد الآب بالابن إن سألتم شيئاً باسمي فإني أفعله»(يو١٤:١٣-١٤) و «الحق الحق أقول لكم إن كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم. إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي. أُطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً» (يو١٦:٢٣-٢٤). الهدوئيَّة طريق مفتوح للجميع: الأمر الوحيد الضروريّ هو الصمت الداخليّ لا الخارجيّ. وعلى الرغم من أنّ هذا الصمت الداخليّ يفترض «**أن نقصي في الصلاة**» كلّ تخيّل أو تصوّر في الصلاة، فالنتيجة النهائيَّة لهذا الرفض هي «أن نؤكّد»، وبحيويّة جديدة, لكلّ شيء ولكلّ شخص، قيمته النهائيَّة في اللّه ؛ ذلك أن الطريق السلبيَّة هي في الوقت عينه «**تأكيدًا**» ولكنَّه متطرّف. والدليل على ذلك الروايات الموجودة في كتاب «**سائح روسي على دروب الربّ**». فالفلاّح المجهول، بطل الرواية، يكتشف أنّ ترداد اسم يسوع بلا انقطاع يمنح علاقته بالخليقة الماديّة شكلاً جديدًا، ويجعل كلّ الأشياء شفّافة إذ تتحوّل إلى سرّ الحضرة الإلهيَّة.

يقول القدّيس إسحق السوريّ إنّ اقتناء طهارة القلب أفضل من محاولة هداية الأمم. وهو لا يريد بهذا أن يحتقر العمل الرسوليّ بل أن يقول إنّ الإنسان، ما دام لم يتوصّل إلى درجة معيَّنة من الهدوء الداخليّ, فنجاحه في هداية أيّ إنسان يبقى ضعيف الاحتمال. وهذا ما يعبّر عنه الأنبا موسى (تلميذ القدّيس أنطونيوس الكبير)، بقوله: «لأنَّهم مارسوا الهدوئيَّة بعمق أولاً, امتلكوا قوة اللّه الساكن فيهم؛ وعندئذ أرسلهم الله بين البشر».

الطريق إلى الفردوس - للقديس باسيليوس الكبير

القديس باسيليوس الكبير

جمال الفردوس:

«وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقا، ووضع هناك آدم الذي جبله» (تك٢:٨). ليتنا نفكر الآن يا أصدقائي في طبيعة الفردوس، الذي يعتبر منحة من اللّه، هذا الفردوس الذي يعكس أسلوب وإرادة الخالق العظيم، فقد كتب: « وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة » (تك٢:٩). لقد أراد اللّه أن يكون الإنسان هو وحده متفوقا على كل شكل من أشكال الحياة الأخرى، والمكان الذي هيأه اللّه للإنسان، والذي خلق فيه كل شيء آخر من أجله، أراد اللّه أن يجعله بارع الجمال، أرضاً مرتفعة لا يمكن أن يُحجب نورها، فكان ذا جمال رائع في آمان تام، وكان بهاؤه يتألق ببريق يفوق كل شيء وينتشر شعاع ضوئه مثل نجم ساطع، فالمكان الذي غرس اللّه الفردوس فيه لا توجد فيه رياح عنيفة وطقس موسمي، كما حافظ فيه على اتزان الحرارة، فلا تكون هناك زوابع ملتهبة وريح ثلجية وعواصف رعدية عنيفة، فلا صيف حار، ولا خريف جاف، بل تناسب تام بين كل الفصول، يتعاقب كل فصل وراء الآخر بهدوء، وكل فصل له عطاياه المفرحة، وكانت الأرض مخصبة غنية تفيض لبنا وعسلاً، وتنتج أثماراً يانعة مختلفة، ومحاطة بمياه عذبة شفافة جميلة، تعطى سروراً للعيون، وتمنح الحياة بالحقيقة «وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة » (تك٢:١٠).

قصد اللّه من خلقة الإنسان:

«وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض، ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفساً حية، وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقاً، ووضع هناك آدم الذي جبله» (تك٢:٧-٨). لقد خلق اللّه آدم، ثم في نفس اللحظة خلق الفردوس، وأدخل آدم إليه، حتى لا يخلق البشرية في عوز وفقر، لقد خلق الكمال منذ البداية، ثم أدخل الإنسان فيه، حتى يعرف الإنسان الفرق بين الحياة في الخارج والحياة التي تحدث في داخل الفردوس، فيدرك تفوق جمال الفردوس، وعاقبة السقوط والطرد منه.

«وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن، ليعملها ويحفظها » (تك٢:١٥)، لابد أن نفكر في كلمات هذه الآية، ونقارنها بكلمات الرب يسوع المسيح لتلاميذه القديسين: «أنا الكرمة وأنتم الأغصان» (يو١٥:٥) ، وتعنى هذه الآية أنهم زُرعوا بيد اللّه، فينبغي أن نبدأ في النمو في بيت الرب ونمتلئ بالثمار في بيت إلهنا «مغروسين في بيت الرب، في ديار إلهنا يزهرون» (مز٩٢:١٣)، قال أيضا داود النبي « طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار..... فيكون كشجرة مغروسة عند مجارى المياه، التي تعطى ثمرها في أوانه، وورقها لا يذبل » (مز١:١-٣).

لقد كَوّن اللّه المكان الذي يلائم استقبال البشرية، وغرس فيه كل نوع من الأشجار الجميلة، لتفرح قلب الإنسان. كيف أضع أمام عينيك جمال مسكنك الذي طردت منه، فتشعر ليس بالحزن فقط، بل بالحنين إلى كل شيء فقدته، فتتذكر الجمال والسعادة التي كانت هناك، التي لم تختلط بالألم والتعب. أما الآن في أرض الشقاء التي طُردنا إليها، فإن الزهور تخفى داخلها أشواكاً، فتشعر بالسعادة مع الألم، وذلك يرينا أن السعادة في هذا العالم دائماً ممزوجة بالألم، فلا توجد سعادة كاملة على الأرض، لأنها سرعان ما تشتبك مع الأحزان، الزواج مع الترمل، جلب الأطفال مع المتاعب، الولادة مع الموت، الشرف العظيم مع العار العظيم، الصحة مع المرض.

عندما أنظر إلى الزهور أحزن، لأن كل وقت أرى فيه زهرة **أتذكر خطيتنا** التي **سببت فساد الأرض** حتى أنبتت شوكاً وحسكاً بل إن الزهرة ينتهي جمالها في وقت قصير جداً، فتتركنا ونحن مازلنا نشتاق إليها، ومن اللحظة التي نقطفها فيها تبدأ تموت بين أيدينا.ولكن في الفردوس كانت الزهور يانعة طوال السنة، ورائحتها الزكية لا تتلاشى، وجمالها البراق لا يزول، فهي تبقى جميلة إلى الأبد.فجمال الزروع كلها يعكس عمل وإبداع الخالق العظيم، فالأغصان الكبيرة والصغيرة تحمل الثمار، سواء ذات الفرع الواحد وذوات الأفرع الكثيرة، وأوراقها خضراء جميلة، وتظل خضراء يانعة طوال السنة، حتى التي لا تحمل أثماراً فهي تعطى بهجة وسروراً، ولو قارناها بأي شيء في هذا العالم فمقارنتنا لن تكون كافية لتوصلنا إلى الصورة الحقيقية، فكل شيء هناك هو كامل ومتكامل، «ورأى اللّه كل ما عمله فإذا هو حسنا جداً» (تك١:٣١).

ففي الفردوس كانت هناك جميع الطيور الجميلة، بريشها البديع بكل أشكاله وألوانه، وتغريدها العذب، فتنعش كل الحواس، ومع الطيور كانت كل أنواع الحيوانات تعيش في سلام وانسجام مع بعضها البعض، فلم يكن الثعبان موضع رُعب ، ولكنه كان أليفا لا يؤذى، ولم يكن يزحف على الأرض على بطنه ، بل كان قائماً يتحرك على أرجله، وجميع الحيوانات التي نعتبرها الآن متوحشة وعدوة للإنسان كانت في هذا الوقت أليفة ورقيقة.

في هذه البيئة وضع اللّه الإنسان الذي خلقه، « وأخذ الرب الإله آدم، ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها» (تك٢:١٥). فقد خلق اللّه آدم في مكان ثم أُدخل إلى الفردوس، وبنفس الطريقة خلق أولاً النور ثم ثبته في السماء، خلق الإنسان من الطين، ثم وضعه في الفردوس.في الحقيقة قد أبهجتك بوصفي سعادة الفردوس، ولكن شرحت لك في نفس الوقت **الحياة المزوجة بالألم** هنا في هذه

الأرض، وبالتأكيد سوف يدرك عقلك مقدار المقارنة، ويشتاق إلى مسكنه الحقيقي ويحاول أن يحصل على هذه السعادة التي وعدنا بها الوحي قائلاً: «ما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده اللّه للذين يحبونه » (١كو٢:٩). ولكن من يستطيع أن يعرف ما لم تره عينه أولاً، وما لم تسمعه أذنه أولاً؟، لأن كل شيء ندركه بالحواس لابد أن يُطبع في الذاكرة، ولكننا عندما نشرح ونصف الفردوس بالطريقة الجسدية التي أشرنا إليها سابقاً، فأننا نستطيع أن نحس روحياً بواسطة الرموز مقدار جمال هذا المكان، لأنه كُتِبَ «وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقا» (تك٢:٨). فنجد أنه لم يخبرنا بكل شيء عن هذا المكان، ولكننا نستطيع أن نقول أن «**عدن**» هي **السعادة** و «**المتعة**»، من أجل هذا لعلك تستطيع أن تعطى صورة للفردوس في عقلك حيث النور الإلهي، والسعادة الروحية، فإنك لو تخيلت مكاناً على الأرض يعيش فيه القديسون، متألقين بنور فضائلهم، ويتمتعون بنعمة اللّه، ويعيشون في حياة هادئة بالحق والعدل والسعادة، فهذا المكان لن يكون بعيداً عن الصورة المنطقية للفردوس.

السعادة الحقيقية:

ولكن ما هي هذه السعادة التي نقصدها؟ أهي الأطعمة التي تدخل الفم وتصل إلى المعدة وتخرج وتنتهي؟ أهذه العطية وهبت لجنس البشر بإحسانات اللّه، لكي تكون هناك معدة ممتلئة وجسم ممتلئ صحة، وشهوات وقتية؟ أهذا هو ما لا نستطيع أن نعبر عنه بالكلمات؟ هل السعادة الحقيقية هي أن نتكبر بقسوة ونطلب أن نسّمن أجسادنا، ونغرق نفوسنا في ارتكاب الخطايا والشهوات؟ لابد أن نعرف أن هذه كلها، هي بعيدة تماما عن السعادة، وبعيدة عن المعنى الذي من أجلها خلقها اللّه.

إذن ما هو نوع هذه السعادة التي تتفق مع الفضيلة والقداسة، ومع قصد الخالق العظيم؟.

في الفردوس تجد هناك الجموع الكثيرة من الملائكة الأطهار القديسين، وهناك الأساس المتين لكل الفضائل الروحية، هناك التسبيح الدائم وثماره النقاوة والطهارة، وهناك نهر ماء الحياة، نهر اللّه، الذي من عرشه تنبع المياه التي تبهج مدينة اللّه، التي صنعت وشيدت باللّه «نهرا صافياً من ماء حياة، لامعاً كبلور، خارجاً من عرش اللّه والخروف» (رؤ ٢٢:١). هذا النهر هو الذي ينبع من عدن (السعادة الحقيقية) ويروى الفردوس «وكان نهر يخرج من عدن ليسقى الجنة» (تك٢:١٠)، هذا هو نهر التمتع الدائم برؤيا اللّه، والشبع الكامل بالتأمل في مجد المسيح وجماله، وفى سلامنا الدائم من أجل تواجدنا في حضرته.هذه كلها أرشدت القديسين، ولابد لكل المؤمنين أن **يقوموا بتداريب روحية صارمة**، حتى يصلوا إلى حياة الكمال، هذه التي أرادها اللّه لكل سكان الفردوس.عندما تفكر في هذا، ستشكر اللّه صانعها الذي خلق كل هذا لأجل سرورك، وبذل كل جهد حتى يجعلك مستحقا لها. وعندما تتجه إليه، حينئذ سيستنير عقلك وستفهم أساس خلقتنا، ومصير آخرتنا، له المجد إلى الأبد أمين.

عشرة مدن:

(واسمها باليونانيّة ذيكابولس ، أي حلف العشرة مُدن). عشر مدن أكثرها في شرق الأردن ، وسكَنها اليونانيون عند قدوم الإسكندر المكدوني ونشره للثقافة اليونانيّة في الشرق، وهذه المدُن وحسب تحديد بليني هي: **سكيثوبولس (بيسان)، هيوس ، دمشق ، جدرة ، رافانا ، قناتا ، بلا ، ديون ، جيراسا (الجرش) ، فيلادلفيا (ربّة عمون أي عمّان)**، ثمّ أُضيفت إليها ثماني مُدن أخرى. وكانت منطقة مزدهرة تجاريّاً ، لموقعها الجغرافي الطبيعي وسط سورية ، وكانت تتخلّلها ثلاثة طُرق ، وتَمُرّ بها طريق رئيسيّة رابعة بين دمشق وشبه الجزيرة العربيّة. واستمرّ ازدهارها إلى عهد الرومان.

صرفة:

مدينة فينيقيّة من أعمال صيدون (١مل١٧:٩ ، لو٤:٢٦). أقام فيها إيليا النبيّ لما نَضَبَ نهر كريث، وكانت قد استقبلته أرملة فيها ما طالت المجاعة إذ وثقت في كلمته التي نطَقَ بها باسم الربّ. وثواباً لإيمانها لم يفرغ الدقيق ولم ينقص الزيت من عندها ، وأعاد النبيّ لولدها الحياة (١مل ١٧:٨-٢٤). واستسلمت المدينة لسنحاريب في سنة ٧٠١ق.م وتنبأ عوبيديا عن رجوعها إلى بني إسرائيل (عوبيديا عدد ٢٠). وتُسمّى اليوم **صرفند** ـ وهي ضيعة قائمة على تلة قرب البحر على بُعد ١٤ ميلاً إلى شماليّ صور و٨ أميال إلى جنوبيّ صيدا، وأما المدينة القديمة فكانت عند البحر وعلى شواطئه تمتد خرائبها ميلاً أو يزيد.

كلمات روحيّة للراهب پاييسيوس الآثوسي

العودة الى الله والارتفاع من الأرض الى السماء

الشيخ القديس پاييسيوس الآثوسي

* الصحراء

١٧– تساعد الصحراء كثيرًا على ازالة الأهواء النفسانية لأنها كالأعشاب التي تختفي في البريّة الجدباء بينما تصبح قصبًا في المستنقعات .

* الاقتراب من الله

١٨– لا تتعجبوا من الذين يقتربون من القمر بل من اولئك الذين يهربون من الاهتمام الدنيوي ويقتربون من اللّه مبتهجين .

١٩– الانسان الذي يبتعد عن اللّه لا يجد راحة نفسيّة لا في هذه الحياة العابرة ولا في الآخرة . لأن الذي لا يؤمن باللّه وبالحياة المستقبلة يبقى بدون تعزية في هذه الحياة ويحكم على نفسه أبديًا.

* القلق أيضًا والبساطة

٢٠– بمقدار ما يبتعد الناس عن الحياة الطبيعية البسيطة ويتقدمون في الكماليات يزداد عندهم القلق البشري . وكلّما تزداد المجاملة البشرية تضيع البساطة ، الفرح والابتسامة البشرية الطبيعية .

٢١– اللّه هو فكر غير محدود والانسان بفكره يقترب من اللّه . الله هو محبّة غير محدودة وبقلب طاهر يحيا الانسان في اللّه . اللّه بسيط وببساطة يؤمن الانسان ويجاهد بتواضع وباخلاص ويشترك بالأسرار الالهية .

٢٢– تعبر السنوات والناس ضائعون .
لا تجلسوا على مفارق الطرق . اختاروا صليبًا موافقًا لحالتكم وتقدّموا في احدى طرق الكنيسة واتبعوا المسيح الى الصلب . هذا ان اردتم ان تفرحوا بالقيامة .

* الصليب

٢٣– صلبان البشر صلبان صغيرة تساعدنا من أجل خلاص نفسنا بينما صليب المسيح كان ثقيلاً جدًا ، لأنه لم يستخدم قوّته الالهية لنفسه فقط .

* التجربة

٢٤– أفضل دواء لكل تجربة نواجهها هو أن ننظر الى تجارب الآخرين الكبيرة ونتأملها في ذهننا .

٢٥– يسوع هو حلاوة . وكل من يسند مرارة قلبه الى المسيح تتحوّل المرارة الى شراب لذيذ .

* الصلاة القلبيّة

٢٦– أتريد أن تصبح صلاتك قلبيّة وتكون مقبولة عند اللّه ؟ إجعل ألم أخيك ألمك . عندئذ مجرّد تنهّد قلبي واحد من أجله يعطي نتائجً ايجابية . التعزية الالهية التي يشعر بها الانسان بعد صلاته هي اشارة من اللّه أنها قُبلت .

* صلاة الليل

٢٧– صلاة الليل الهادئة تساعد كثيرًا بهدوئها ، ونتائجها كبيرة لنموّنا الروحي كمثل الشتاء الليلي الهادىء الذي ينمّي الغروس كثيرًا .

* السهر

٢٨– النوم بعد غروب الشمس يفيد الجسد كثيرًا . والسهر أيضًا بعد غروب الشمس يفيد النفس عندما يُرافق بصلاة خاشعة .

* المسبحة

٢٩– استخدموا المسبحة (لصلاة يسوع) بصورة مستمرة الى أن تُسيّل الزيوت الروحية وتدور المكنة الروحية فيصلّي القلب عندئذ تلقائيًا .

٣٠– تأتي المعونة الروحية بمقدار الذبيحة والصلاة التي يقدّمها الانسان عن نفسه وعن قريبه .

٣١– التسليم للّه لكل ما لا يحصل بحسب المنطق البشري ما هو إلاّ صلاة سريّة مستمرة مرافقة بنتائج ايجابية .

٣٢– من يثق باللّه يبذر تمجيدًا ويقتبل الفرح الالهي والبركة الأزلية . ومن يبذر شقاء يحصد تعاسة ويخزّن قلقًا .

٣٣– لا يشعر بحلاوة الحياة اولئك الذي يتمتّعون بها دنيويًا بل أولئك الذين يعيشون روحيًا ويقبلون مرارة الحياة بفرح على مثال أعشاب طبيّة شافية لصحة النفس ويغتذون فقط من أجل الحفاظ على الجسد .

* الصوم والعطاء

٣٤– ان جاع قريبك أعطه طعامك . وان لم تجد انسانًا جائعًا أعط طعامك للحيوانات الجائعة لأن الصوم يفيد نفسك لأجل نوال الفردوس بينما الحيوانات البائسة ليس لها فردوس ولكن الحسن لديها أنه ليس عندها هلاك أيضًا .

طريق النساك الحالة الجسدية والذهنية المصاحبة للصلاة

هام جدًا، نحن نمارس الصلاة بهذه الطريقة، ألاّ نعطي السيادة للجسد، فأي صلاة لا يكن فيها الجسد مغمومًا والقلب منسحقًا، تشبه جنينًا لم يكتمل نموه، كما يقول **القديس اسحق السوري**، لأنّ مثل هذه الصلاة ليس فيها روح. وهي تحمل في طياتها بذرة الاكتفاء الذاتي والكبرياء، الذي يجعل القلب يعتبر ذاته، ليس فقط بين المدعوين، بل بين القلة المنتخبة (انظر مت ٢٢:١٤).

فاحذر من هذا النوع من الصلاة، فإنه يتسبب في أخطاء كثيرة، فإن كان القلب مُقيدًا ومربوطًا بالجسديات، فإنّ كنزك أيضًا سيكون في الجسديات أثناء تفكيرك، حتى لو أمسكت بالسماء في حضنك وبين ذراعيك. ففرحك يصير غير نقي، ويعبر عن نفسه بنقص الانضباط والميل الى الثرثرة وتعليم الآخرين ووعظهم بدون أن يكلفك الروح بهذا العمل عن طريق الكنيسة كمعلّم للآخرين.

إنك ستفسّر الكتاب المقدس بحسب ذهنك الجسدي، ولن تستطيع أن تحتمل أن يناقضك أحد وهكذا تدخل في مجادلات حامية دفاعًا عن رأيك الخاص، وكل هذا لأنك أهملت ضبط جسدك، وبذلك أهملت اتضاع قلبك.

الفرح الحقيقي هادئ وثابت، ولذا يحثنا الرسول أن "نفرح كل حين" (١ تس ١٦:٥). هذا الفرح يفيض من قلب يبكي على تحول العالم عن النور، (وتحوله هو نفسه أيضًا)، فالفرح الحقيقي يوجد في الحزن، لأنه مكتوب "طوبى للحزانى لأنهم يتعزون" (مت ٤:٥)، وأيضًا "طوباكم إيها الباكون الآن" – **بالجسد** – "لأنكم ستضحكون" **بالروح** (انظر لو ٦:٢١).

الفرح الحقيقي هو فرح التعزية، الفرح الذي يتدفق من معرفة الإنسان لضعفه الشخصي مع معرفة رحمة الرب، ومثل هذا الفرح لا يحتاج إلى قهقهة الضحك لكي يعبّر عن نفسه.

فكّر أيضًا في هذا: إنّ الشخص المربوط بالأمور الأرضية يمكن أن يفرح، ولكنه أيضًا يمكن أن يضطرب ويتضايق أو يحزن على الأشياء الأرضية: إذ أنّ ذهنه مُعرّض دائمًا لتقلبات وتغيرات مستمرة. "أما فرح سيدك" (مت ٢٥:٢١) فهو فرح ثابت لا يُنزع، لأنّ الله غير متغير.

لذلك اضبط لسانك في نفس الوقت الذي تنظم جسدك وتضبطه بالصوم والحزم. إنّ كثرة الكلام عدو كبير للصلاة، فتدفق الكلمات المتتالية يقف سدًا في طريق كلمات الصلاة، ولذلك السبب فنحن سنعطي حسابًا عن كل كلمة بطالة (كلمة بإهمال أو بغير اكتراث)، ننطق بها (مت ١٢: ٣٦)، فالذي يريد أن يحفظ حجرته نظيفة لا يحضر تراب الشارع إلى الحجرة، لذلك احفظ قلبك نقيًا وحرًا من القيل والقال والثرثرة حول أحداث اليوم الذي مضي.

"اللسان نار، هوذا نار قليلة أي وقود تحترق" (يع ٣:٥ و ٦) ولكن النار إن كان لا ينفخ فيها أحد، فإنها تخمد: وهكذا إن كنت لا تنفخ في شهواتك فإنها تنطفئ تدريجيًا. فإذا استثرت نحو الغضب، فاصمت ولا تدع غضبك يظهر خارجيًا. ودع الرب فقط أن يسمع اعترافك. وبذلك فإنك تطفئ الجمرة المشتعلة في بدايتها. وإذا كنت تضطرب بسبب أخطاء الآخرين، فاتبع مثال **سام ويافث**: بأن تستر هذه الأخطاء بستر الصمت (تك ٩:٢٣)، وهكذا فإنك تطفئ رغبتك في الإدانة قبل أن تنفجر لتصير لهيبًا محرقًا.

والصمت يمكن أن تملأه بالصلاة اليقظة كما تملأ الدلو بالماء.

ولكن ليس اللسان فقط هو الذي يلزم ضبطه بالنسبة للإنسان الذي يمارس فن اليقظة والسهر.إنه ينبغي أن ينظر إلى نفسه (غل ٦:١) بكل تدقيق وفي كل التفاصيل يجب أن يمتد اهتمامه إلى أعماق كيانه. ففي العمق الداخلي يجد مخازن لا حدود لها، حيث تتحرك الذكريات والأفكار والخيالات وكل هذه ينبغي أن تُلجم، فلا تثير أية ذكرى من الذكريات التي يمكن أن تلطخ صلاتك بالوحل ولا تحفر عميقًا في تربة خطاياك القديمة. لا تكن مثل الكلب الذي يعود إلى قيئه (أم ٢٦:١١). لا تدع ذاكرتك تتسكع وراء الأمور الخاصة الشخصية التي يمكن أن توقظ شهواتك، أو يمكن أن تحرك خيال، إن أفضل مكان يختاره الشيطان لمحاربتنا هو خيالنا، ومن خلاله يجذبنا لمواصلة الحوار معه، ويجذبنا إلى الموافقة معه ثم إلى التنفيذ الفعلي. فإنه يزرع الشك والقلق في عالم أفكارك، كما يزرع محاولات للتفكير المنطقي وطلب البراهين، ويزرع الأسئلة غير المثمرة والأجوبة التي تخترعها ذواتنا. فواجه مثل كل هذه الأمور بكلمات المزمور "انصرفوا عني أيها الأشرار" (مز ١١٩:١١٥).

شونيز (اش٢٨:٢٥و٢٧) . نبات من الفصيلة الشقيقيّة ، يُسمّى الشونيز المزروع واسمه باللاتينيّة **Nigella Sativa** . وهو ذو أزهار خيميّة شبيه بنبات اليانسون. بذره يُسمّى حبّة البَرَكة. والشونيز لا يُدرس بل يُخبَط بالعصا. ولحبّة البركة فوائد طبيّة كثيرة.

العهد القديم في الكتاب المقدّس (٢١)

تتمة من العدد السابق

حياة الآباء وخواص تلك الفترة

عقائد وثنيّة:

ذُكرَ في لوحات نوزو الكثير من أسماء الآلهة ومنها آلهة خاصّة بالعائلة، وجاء من بينها إسم الترافيم ، وكان اقتناؤه في العقائد القديمة يجلب الحظ ويُعطي الثراء والنجاح ، وهو ما دعا لابان يغضب عند اكتشافه سرقة آلهته من بيته (تك٣١: ٣٠).

المبادلات في البيع والشراء:

كشفت اللوحات التي اكتُشفت في بوغز كوى عاصمة الحثيين في آسيا الصغرى عن وثائق ملكيّة وحياة الحثيين السياسيّة وقوانينهم في عقود البيع والشراء ، وبهذه المعلومات أمكننا أن نفهم قصة بيع مغارة المكفيلة التي اشتراها ابراهيم من عقرون الحثّي ليَدفن فيها سارة (تك٢٣: ١١-٢٠)، وابراهيم اشتراها بما يُعَدُّ ثمناً باهظاً ، ولكن بحسب القانون الحثّي أنّ على مَن يشتري كل ملكيّة البائع عليه أن يقدّم خدمات إقطاعيّة عند انتقال الملكيّة إليه ، وإذا حدث الشراء لجزء فقط من ملكيّة الأرض فإنّه لا يلتزم بتلك الخدمات الإقطاعيّة، وهذ يُفسّر رغبة إبراهيم بشراء جزء فقط من الملكيّة لكي يتجنّب أي التزام ، ولكن عقرون كان يُريد أن يتخلّص من الأرض كلّها ، لذلك لم يقبل إلاّ البيع بالكامل مما أدّى إلى التزام ابراهيم بالمسؤوليّة الإقطاعيّة ، وتمّت الصفقة بوزن الفضّة بحسب العادة المتّبعة عند الحثيين ، وكتبت قائمة بالأشجار التي في الأرض وكان البيع أمام شهود.

ثالثاً: مصر في عصر الآباء:

تقع مصر على الطَرَف الآخر للهلال الخصيب وقناة السويس التي تربط بين البحر المتوسّط والبحر الأحمر، وهي حدود مصر من جهة الشمال الشرقي ، تُعَدّ الخط الفاصل بين أفريقيا وآسيا ، وشبه جزيرة سيناء جزء من الأرض المصريّة ، ولعبت مصر دوراً مؤثّراً في حياة الشعب الإسرائيلي منذ فجر نشأته بسبب قُربها من كنعان.

جغرافية الأرض:

يشقّ نهر النيل الوادي الضيّق ، الذي يمتدّ ستمائة ميل (٩٦٥ كم) من أسوان وينتهي بدلتا عريضة تتصل بالبحر المتوسّط ، وكانت الدلتا قديماً تُقَسّم القُطر بسبع فروع رئيسيّة لم يتبقَ منها حالياً سوى فرعان ، وعلى جانبيّ الوادي تمتد الصحاري، والنيل نهرٌ حميد خيِّر منتظم في فيضانه السنوي تُغذيه أمطار موسميّة تسقط على مرتفعات الحبشة فيرتفع النيل بالفيضان في الفترة بين شهري يونية وأوكتوبر ، وكان موسم الفيضان مناسبة للإبتهالات والإبتهاج في كافة أنحاء القُطر (قبَل إنشاء السدّ العالي ١٩٦٤م).

صورة من الفضاء الخارجي

منبع النيل الأبيض في الحبشة

منبع النيل الأزرق في الحبشة

النيلان الأبيض والأزرق يكوّنان نهر النيل الذي يخترق السودان ومصر ويصب أخيراً في المتوسط

الحضارة المصريّة:

أشرقت أنوار المعرفة في مصر منذ فجر التاريخ وهي تقريباً نشأت متزامنة مع حضارة ما بين النهرين في سومر على الطرف الآخر من الهلال الخصيب ، فقد وَهَب النيل مصر إقتصاداً زراعيّاً وزودتها الصحاري بالصخور اللازمة للبناء والمعادن التي تؤثّر في الحضارة ، وكانت المواصلات وسيلتها الأساسيّة هي النيل الذي يربط القُطر شماله بجنوبه ، وكانت القوارب المصنوعة من البردى تدفعها قوّة الرياح المتّجهة من الشمال إلى الجنوب ، أما القوارب التي تتجه شمال القُطر فكانت تدفعها قوّة سريان النهر المُنحَدر من الجنوب إلى الشمال.

وربطت الطُرق عبر سيناء مصر بجيرانها في كنعان ، وما بين النهرين ، كما ربطت الأودية في الصحراء الشرقيّة مصر بالبحر الأحمر. وبسبب تحديد طبيعة القُطر كانت مصرَ أكثر عُزلة فلم يكن هناك تهديد من الخارج بسبب تلك الصحاري التي تمتدّ من الجانبين ، وأعطت القُطر الحماية الطبيعيّة ، فتكوّنت فيها أوّل دولة كُبرى موّحدة، بعكس ما كان الحال في ما بين النهرين التي ظلّت بلدانها لوقت طويل تتنافس وكثيراً ما نشبت بينهم الحروب التي استمرّت حتى عصر حمورابي في بابل ، وبسبب هذا الهدوء والإستقرار لم يبن المصريون مُدناً محصّنة كتلك التي كانت في كنعان والفُرات ، ولم يكن لهم لمدّة طويلة جيش مستديم ، وكان لها حرس حدود يُعسكرون على الحدود الشرقيّة لحمايتها ، ويصطحبون الضيوف الغرباء إلى داخل البلاد وخارجها (تك١٢: ٢٠) ، وكما جاء في قصّة سنوحى في المخطوطات المصريّة القديمة. وفي بعض الأحيان كان يضطر الملوك إلى القيام بحملات عسكريّة لإخضاع القبائل المنتشرة في كنعان والتي كانت تحت حُكم الفراعنة مباشرة أو بها ولاة يتبعون ملك مصر.

واكتشف المصريون طُرق الكتابة وكانت وظيفة الكاتب من وظائف الدولة المرموقة ، وعرفوا أوّل تقويم دقيق فقاسوا الزمن (٤٢٤٠ ق.م.) وتقدّموا في علوم الفَلَك ولم يُضارعهم شعب قديم في المهارة الطبيّة وعلم التشريح ، وكانت فئة الأطباء نخبة ممتازة في البلاط الملكي ، وكانوا قادرين على إجراء العمليات الجراحيّة ودارسين لعلم التشريح لذلك قاموا في نجاح منقطع النظير بتحنيط موتاهم.

يتبع

عجائب القديس يوحنا الروسي

وُلدَ القديس يوحنا الروسيّ في روسيا سنة ١٦٩٠ . أسرَ في الحرب الروسيّة التركيّة سنة١٧١١ ؛ بيعَ كعبد لرئيس الفَرسان في بلدة بروكوبيو ، نال من الإضطهاد والعذاباتَ والضرب ألواناً. حافَظَ على إيمانه الأرثوذكسي. إنتقل وله من العمر ٤٠ عاماً. بقي جسده بدون فساد. نُقِلَ إلى بروكوبي في إيڤيا باليونان. وهو مسجّى في الكنيسة التي تحمل اسمه.

جمعها الأب يوحنا فرنيزوس، خادم كنيسة القديس في بروكوبي - آڤيا

أولى عجائب القديس يوحنا الروسي كانت إرسال صحن من الطعام من بروكوبي في آسيا الصغرى إلى مكة العربية. إنها معجزة تشهد للإخلاص المطلق بعلاقته مع اللّه. فبالرغم من معاناته مشقات فظيعة من أجل إيمانه على أيدي العثمانيين أعداء المسيحية، فإن المعجزة تمّت بينهم. هذه العجيبة سُجلت في حياة القديس التي كُتبت نحو أواخر القرن الثامن عشر ولها خاصية وعظمة تذكر المرء بالعهد القديم. بالطبع لقد سَلَّحَ حب المسيح قديسي الكنيسة بنفس القوات الروحية التي أُعطيت للأنبياء والبطاركة والرجال الأبرار في العهد القديم.

القديس يوحنا الروسي

باشر أحد الكهنة الأربعة الذين يخدمون في كنيسة القديس يوحنا بتصنيف بعض عجائبه وبتجميع كل المعلومات التاريخية الحاضرة، وتسجيل التقليد الشفوي المُتَسلّم من اللاجئين من بروكوبي في آسيا الصغرى والذين جلبوا رفات القديس المقدسة إلى آڤيا. كان قصد هذا الأب أن يكتب سيرة منقّحة للقديس غنية بهذا التقليد الحي قبل أن ينتقل آخر لاجئ من هذا العالم إلى العالم الأبدي.!!!

في مساء أحد الأيام كان هذا الكاهن يحتفل بصلاة الغروب وحده في كنيسة القديس. وبينما كان يرتل كلمات المزمور «لتستقم صلاتي كالبخور أمامك» توقف أمام مقام القديس لكي يبخره. ووقعت عيناه على أيقونة القديس يوحنا الكبرى التي عن يمين المقام خاصة على جزء من جانب اللوحة التي تصور القديس يوحنا على ركبتيه مصلياً إلى الله ليرسل صحن الأكل النحاسي إلى مكة. وقال لنفسه: «يا قديسي لو كان لدينا صورة عن هذا الصحن لأضفناها إلى الكتاب الجديد».

وبعد أسبوع جاءت السيدة ليناردراتو وهي إمرأة من قرية سباتا بالقرب من أثينا، برحلة حجّ الى بروكوبي. وقد التقت الكاهن في مدخل الكنيسة وسألته: «أبت، هل أنت كاهن هذه الكنيسة؟» وعندما أجاب بالإيجاب، تابعَت قائلة: «الأسبوع الماضي يوم الجمعة بعد الظهر (أي اليوم نفسه الذي أبدى فيه الكاهن رغبته في الحصول على الصحن النحاسي) شاهدتُ القديس يوحنا في نومي وقال لي أنّ بين الأشياء التي جلبها والدي من آسيا الصغرى، والموجودة في الدور السفلي من البيت، صحن نحاسي. وطلب أن أنّظفه وأجلبه إلى كنيسته في بروكوبي في آڤيا واتركه هناك إلى الأبد لأنه، أي القديس، يحتاج إليه». ثم أخرَجت الصحن النحاسي من حقيبتها. وقد رأى الكاهن، وهو مملوء عجباً، أن الصحن كان على نحو دقيق هو نفسه كالذي في الأيقونة. فقبّله الكاهن بعينين دامعتين وأخذه ووضعه حالاً على الزجاج أعلى الوعاء الذي يوضع فيه جسد القديس فوق يدي القديس وقال له: «يا قديسي يوحنا هل تتكبّدْ كل هذه الآلام من أجلنا نحن الخطأة؟ المجد للّه الذي تحبه وتمجده وأنت معه أزلياً، ولك. أشكرك وأمجدك».الصحن اليوم محفوظ هو في كنيسة القديس.

طروبارية القدّيس يوحنا الروسي : إنّ الذي دعاك من الأرض إلى المساكن السماويّة ، حفظ جسَدَك بعد الموت سالماً أيها المغبوط ، لأنّك ، يا يوحنا ، وأنت مأسورٌ في آسيا ، حافظت على محبّتك للمسيح ، فإليه تضرّع أن يخلّص نفوسنا.

المحلّة : محط جيش أو جماعة من النّاس ، حيثُ تُقام ترتيبات وقتيّة لإراحتهم (خر١٩:١٤ و ١ صم ٥:٤ و٤:١٧ و ٢مل٧:٧). وكانت تقَرَّر ترتيبات صارمة لجيش العبرانيين لضمان النظافة في محلّتهم (تث٩:٢٣-١٤). وترتيب محلّة الأمّة العبرانيّة المتنقّلة أثناء ترحالهم في البريّة ، موصوف في (عدد ١:٤٧ - ٢:٣٤ و٣:١٤-٣٩).

موسى النبي كليم الله

وكانت خيمة الإجتماع في الوسط ، وحولها خيام اللاويين ، والشعب أربعة أقسام كل قسم منها في جهة من أربع جهات الخيمة ، ولكل قسم منها راية كما لكل سبط وكل بيت كبير ، وكان لكل سبط رئيس انتخبه اللّه ؛ ففي شرق الخيمة عند بابها موسى وهرون وبنو هرون ، ثمّ محلّة يهوذا وتشمل أسباط يهوذا ويساكر وزبولون ، وفي جنوبها القهاقيّون ثمّ محلّة رأوبين وتشمل أسباط رأوبين وشمعون وجاد ، وفي غربها الجرشونيون ثم محلّة افرايم وتشمل افرايم ومنسّى وبنيامين ، وفي شمالها المراريون ثمّ محلّة دان وتشمل محلّة دان وأشير ونفتالي. وكان منظر المحلّة بهجاً (عدد ٢:٢٤و٥).

Η ΤΟΥ ΚΟΣΜΟΥ ΡΩΜΙΟΣΥΝΗ

ROMIOSYNI OF THE WORLD

الرّوم

إنتماءٌ يدوم ويدوم...